مجلة اتحاد الجامعات العربية للسياحة والضيافة
(JAAUTH)
الموقع الإلكتروني: http://jaauth.journals.ekb.eg/

أثر النذر على العمارة المملوكية بمصر

أحمد مجدى سالم
مُدرس بقسم الإرشاد السياحى – كلية السياحة والفنادق – جامعة قناة السويس
ahmad_salem@tourism.suez.edu.eg

معلومات المقالة

الكلمات المفتاحية
النذر؛
العمارة المملوكية؛
سوق العنبريين؛
بيمارستان قلاوون؛
خانقاه.

(JAAUTH)
المجلد:٢٧، العدد : ٢
(ديسمبر ٢٠٢٤)
ص: ٣٩-٦٥.

الملخص

تنوعت العمارة الإسلامية إبان العصر المملوكى بمصر وتعددت دوافع وأغراض بنائها، ولم يكن للنذر نصيب وافر من الدراسة كأحد أسباب إنشاء هذه العمائر. يهدف هذا البحث إلى دراسة أثر النذر على العمارة المملوكية سواء: الدينية منها أو المدنية كما يُوضح المنشآت المملوكية التى أُنشئت بغرض الوفاء بنذر. ليس هذا فحسب، بل يُشير البحث أيضا إلى الوحدات المعمارية التى جُددت فى بعض المنشآت الإسلامية بدافع الوفاء بالنذر. اتبعت الدراسة المنهج الاستقرائى القائم على استنطاق النصوص والروايات التاريخية الواردة بالمصادر الأولية وفق منهجية تحليلية، كما تم استخدام المنهج الوصفى كذلك للإشارة إلى بعض العمائر المملوكية الباقية التى أنشئت فضلا عن الوحدات المعمارية التى جُددت بغرض الوفاء بالنذر. وقد خَلُصَ البحث إلى كون النذر هو الأساس والسبب الرئيس لبناء خمس مُنشآت مملوكية وهم كالتالى: سوق العنبريين، بيمارستان قلاوون، خانقاه الناصر محمد بن قلاوون بسرياقوس جامع المؤيد شيخ، جامع السلطان برسباي بالخانكة. هذا بالإضافة إلى تجديد عمارة جامع ابن طولون فى عهد السلطان لاجين وفاء لنذر قد تعهد به على نفسه.

المُقدمة

اصطلح تعريف النذر على أنه ما يَنْذِرُهُ الإنسان فيجعله على نفسه نحباً واجباً، وجمعه نذور، [١] ويُقال نذَر فُلان على نفسه كذا، أى أوجب على نفسه تنفيذ ما تعهَّد به. [٢] والوفاء بالنذر أمر واجب النفاذ فى الشريعة الإسلامية، والعمارة الإسلامية بمصر المملوكية قد تأثَّرت أيما تأثُّر إذ أُنشىء بعضها وفاءً لنذر قد تعهد به أحد الأمراء أو السلاطين على نفسه. وعلى حد علم الباحث لم تتصدى أى دراسة من قبل لرصد هذا الموضوع ودراسته بشكلٍ مُفصَّل ومن ثمَّ إظهار العمائر والوحدات المعمارية التى تَسبَّب النذر فى إنشائها، وهذه هى مُشكلة البحث الرئيسية.

(١) ابن منظور الأفريقى المصرى (الإمام العلامة أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقى المصرى) ت ٧١١هـ/ ١٣١١م: لِسانُ العرب، ٦ مُجلدات، تحقيق: عبدالله على الكبير وآخرون (القاهرة: دار المعارف، د. ت) مجلد ٦، ص ٤٣٩٠

(٢) الفيروزآبادى (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى) ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤م: القاموس المُحيط، تحقيق: أبوالوفا نصر الهُورينى (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٨) ص ١٥٩٨

والهدف من هذا البحث هو دراسة أثر النذر على العمارة المملوكية سواء: الدينية منها أو المدنية، كما يُوضح المنشآت المملوكية التى أُنشئت بدافع الوفاء بنذر. هذا ويُشير البحث أيضا إلى الوحدات المعمارية التى جُددت ورُمِّمت فى بعض المنشآت الإسلامية كأحد سُبل الوفاء بالنذر.

وقد وقع على الباحث – فى ظل تفرق المادة العلمية فى بطون المصادر – اللجوء إلى المنهج الاستقرائى القائم على استنطاق النصوص والروايات التاريخية الواردة بالمصادر الأولية وفق منهجية تحليلية، كما تم استخدام المنهج الوصفى كذلك للإشارة إلى بعض العمائر المملوكية الباقية التى أنشئت فضلا عن الوحدات المعمارية التى جُددت بغرض الوفاء بالنذر.

محاور الدراسة: تتلخص محاور الدراسة فى ستة محاور رئيسة هم:

- سوق العنبريين وعلاقته بالنذر.
- النذر وأثره على عمارة بيمارستان قلاوون.
- تجديد عمارة جامع أحمد بن طولون والإضافة له وفاءً لنذر حسام الدين لاجين.
- نذر إنشاء خانقاه سرياقوس وأثره على الامتداد العمرانى بالمنطقة.
- عمارة الجامع المؤيدى وفاءً لنذر السلطان المؤيد شيخ.
- نذر إنشاء جامع السلطان برسباي بخانقاه سرياقوس.

يَعرِض البحث لكل محور من هذه المحاور بشكلٍ مُفصَّل كما يلى:

سوق العنبريين وعلاقته بالنذر

اهتم حُكام مصر الإسلامية بالأسواق وبالمنشآت التجارية، وعملوا على النهوض بها لتحقيق الأغراض الاقتصادية التى قامت من أجلها. [٣] ويُعد السلطان المنصور قلاوون من جملة الحكام الذين أولوا اهتماما بالغا لبناء وتشييد الأسواق، وكان سوق العنبريين أحد مشروعاته المعمارية الطموحة: حيث خُصِّص هذا السوق لتجارة العنبر الذى وجد رواجاً فى مصر آنذاك، فكان للناس رغبة زائدة فى العنبر وبالأخص النساء، ولا يُوجد بأرض مصر امرأة إلا ولها قلادة من عنبر ليس هذا فحسب بل كان يُتخذ من العنبر المخادّ [٤] والكلل [٥] والسُّتور [٦] وغيرها، و يُعدون تجار العنبر من بياض الناس ولهم أموال جزيلة وفيهم رؤساء وأجلاء. [٧]

وبالنسبة لموضع سوق العنبريين فى الأصل كان سجناً لأرباب الجرائم، وكان يُعرف هذا السجن بحبس المعونة إبان الدولة الفاطمية، وقد اشتُهر أنه من أبشع السجون آنذاك: فكان شنيع المنظر ضيقا لايزال من يمُر به ويجتاز عليه يجد منه رائحة مُنكرة.[٨] ومن حُسن الطالع لهذا السجن أن تم هدمه وإعادة عمارته سوقاً للعنبر إبان الدولة المملوكية البحرية بدافع الوفاء بنذر كان المنصور قلاوون قد قطعه على نفسه حينما كان أميراً فى دولة السلطان

(٣) الشيخ الأمين محمد عوض الله: أسواق القاهرة منذ العصر الفاطمى حتى نهاية عصر المماليك (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤) ص ٣١

(٤) المخادّ جمع مخدة وهى الوسادة التى يُوضع عليها الخد أو الرأس عند النوم. للاستزادة راجع: الفيروزآبادى: القاموس المُحيط، ص ١٥١٤

(٥) الكلل عبارة عن عصابة على هيئة تاج تُكلل الرأس أو تطوق العنق للتزين. للاستزادة راجع: مجمع اللغة العربية: المُعجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم (القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ٢٠٠٢) ص ٥٣٩

(٦) السُّتور تعنى الأحجبة أو الأغطية. للاستزادة راجع: الفيروزآبادى: القاموس المُحيط، ص ٧٤٥

(٧) المقريزى (تقى الدين أحمد بن على بن عبدالقادر المقريزى) ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢م : المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار (المعروف بالخطط المقريزية)، ٦ مجلدات ، تحقيق: أيمن فؤاد سيد (لندن: مؤسسة الفرقان،١٩٩٥-٢٠٠٣) ج٣، ص ٣٤٠

(٨) المقريزى: الخطط، ج٣، ص ٣٤٠

الظاهر بيبرس البندقدارى حيث كان يقع هذا السجن فى طريقه من داره إلى قلعة الجبل، وحينما يمر قلاوون به كان يسمع صُراخ المسجونين وشكواهم فضلا عن الروائح الكريهة المنبعثة منه، فنذر قلاوون إلى الله تعالى إن راقت له الأحوال واتسع له المجال، واستقرت قواعده، وقَوي بالسلطة ساعده، وأصبح سُلطاناً للبلاد والعباد، سوف يقوم بهدم هذا الحبس ويُحوله إلى مكان طيب يُخلِّد به قلاوون ذكراه ويكون دليلا على تقواه. ولما تم له ذلك وتربع على تخت السلطنة أمر قلاوون بهدم هذا الحبس وحوَّله إلى سوق يُباع فيه العنبر ومن ثم يتردد عليه القاصى والدانى. (٩)

ويؤكد المؤرخ المقريزى على كون النذر هو أحد أسباب إنشاء سوق العنبريين فى روايته قائلا:"فلما كان فى الدولة التركية، وصار قلاوون من جملة الأمراء الظاهرية بيبرس، صار يمر من داره إلى قلعة الجبل على حبس المعونة هذا، فيشم منه رائحة رديئة، ويسمع منه صراخ المسجونين وشكواهم الجُوع والعُرى والقُمَّل، فجعل على نفسه إن الله تعالى جعل له من الأمر شيئا أن يبنى هذا الحبس مكاناً حسناً، فلما صار إليه مُلك ديار مصر والشام، هدم حبس المعونة وبناه سوقاً أسكنه بياعى العنبر". (١٠)

وسبحان مُغير الأحوال: فبعدما كان موضع حبس المعونة من أشنع الأماكن وأبشعها، إذ تسبب نذر قلاوون فى أن يتحول إلى سوق أبهر الأبصار وخطف قلوب الزوار وتحاكى بسمعته قاطنى الأمصار، كما وجد فى نفوس المصريين رواجا على اختلاف طبقاتهم وأصبح مقصدا لكافة المجتمع المملوكى وطبقاته ليس فقط للبيع والشراء وإنما للنزهة والاسترواح. ولا زال هذا السوق على حالته هذه حتى عرف الغش طريقه إلى العنبر فى أخريات القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) حتى أصبح اسما لا يعنى شيئا. (١١)

النذر وأثره على عمارة بيمارستان قلاوون

البيمارستان بفتح الراء وسكون السين هو عبارة مُستشفى لمعالجة المرضى وإقامتهم، وهو لفظ فارسى مُركّب من "بيمار" أى مريض، و"ستان" أى مكان أو دار، وتعنى بيمارستان أى دار المرضى، ويُقال أحيانا بيمارستان أو مارستان. (١٢) يقع بيمارستان قلاوون بخط بين القصرين من القاهرة وهو أحد أهم البنايات التى تتألف منها مجموعة قلاوون المعمارية المكونة من قبة ومدرسة والبيمارستان الذى نحن بصدده. ويرجع سبب إنشاء قلاوون لهذا البيمارستان إلى نذر قد تعهّد به حينما كان أميراً فى دولة السطان الظاهر بيبرس البندقدارى سنة ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م حيث توجّه لغزو الروم بإيعاذ من السطان بيبرس البندقدارى، وأثناء مروره بدمشق أصابه قَوْلُنْج (١٣) فعالجه الأطباء بأدوية جُلبت له من بيمارستان نور الدين محمود بن زنكى، ولما برأ قلاوون على إثر هذه الأدوية وتماثل الشفاء ركب متوجها لزيارة ورؤية بيمارستان نور الدين هذا، فأُعجب به أيما إعجاب ونذر إن أتاه الله المُلك وأصبح سلطانا للبلاد أن يبنى بيمارستاناً.

---

(٩) قاسم عبده قاسم: الأسواق بمصر فى عصر سلاطين المماليك، مجلة كلية الأداب – جامعة القاهرة، مجلد ٣٦-٣٧، الجزء ١-٢ (١٩٧٤-١٩٧٥) ص ص. ١٥٧-١٧٨ (ص ١٦٤)؛ قاسم عبده قاسم: أسواق مصر فى عصر سلاطين المماليك، الطبعة الأولى (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١١) ص ١٣

(١٠) المقريزى: الخطط، ج٣، ص ٣٤٠

(١١) قاسم عبده قاسم: أسواق مصر فى عصر سلاطين المماليك، ص ١٣

(١٢) أحمد عيسى: تاريخ البيمارَسْتانات فى الإسلام (القاهرة: كلمات عربية للترجمة والنشر، ٢٠١٢) ص٨؛ محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر (٩٢٣-٦٤٨هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م): دراسة تاريخية وثائقية (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠١٤) ص ١٥٥

(١٣) القَوْلُنْج هو مرض معوى مؤلم يصعب معه خروج الريح والبُراز وسببه التهاب القولون. للاستزادة راجع: مجمع اللغة العربية: المُعجم الوسيط، الطبعة الرابعة (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤) ص ٧٦٧

ويُشير المؤرخ العسقلانى المصرى فى معرض حديثه عن بيمارستان قلاوون إلى كون النذر هو السبب الرئيسى الدافع لقلاوون لبنائه قائلا:"كان قد نَذَرَ على نفسه [١٤] بناء بيمارستان بالقاهرة المحروسة، وأن يُبرزه فى صورة من الحُسن تُضْرَب بها الأمثال وتقل لها الأمثال". [١٥]

كما يؤكد المقريزى على رواية المؤرخ العسقلانى المصرى من حيث كون النذر هو السبب فى إنشاء قلاوون لهذا البيمارستان، بل ويُقدم تفاصيل أكثر فى روايته التى نصها:"كان سبب بنائه[١٦] أن الملك المنصور [١٧] لما توجَّه وهو أمير إلى غزاة الروم فى أيام الظاهر بيبرس [١٨] سنة خمس وسبعين وست مائة، أصابه قَوْلُنْج عظيم فعالجه الأطباء بأدوية أخذت له من مارستان نور الدين الشهيد، فبرأ وركب حتى شاهد المارستان فأعجب به، ونذر إن أتاه الله المُلك أن يبنى مارستاناً". [١٩]

ولما حاز اللهُ للسلطان قلاوون ممالك البلاد، واستقر خاطره من جهة مناوأة كل حاضرٍ وباد، وأيده بنصره وقاد إليه الأعداء بأزمة قهره، أبرز قلاوون إلى الوجود ما كان له من خير قد نوى، وأقبل بوجهه على ما كان فى خاطره وما نكب عنه وما لوى، فبدأ فى تنفيذ ما كان قطعه على نفسه من نذرٍ وعمل على الوفاء به، وبدأ بالبحث عن موضع يُشيِّد عليه البيمارستان، فوقع اختياره على الدار القُطبيّة [٢٠] وهى دار كبيرة واسعة بلغ ذَرْعها عشرة ألآف وستمائة ذراع، وما كان قد بقى بها لا يصلح للسكنى، فعوَّض قلاوون أهلها عنها قصر الزمرد برحبة باب العيد فأقاموا به، وكان ذلك إبان الثامن والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ٦٨٢هـ (الخامس والعشرين من شهر يونيو سنة ١٢٨٣م). [٢١] وَوُلِّى الأمير علم الدين سنجر الشجاعى [٢٢] – من قِبَل السلطان قلاوون – أمر عمارة هذه الدار بيمارستاناً، فشرع فى العمارة فى مُستهل شهر ربيع الآخر سنة ٦٨٣هـ (السادس عشر من شهر يونيو عام ١٢٨٤م) وأبقى الدار القُطبيّة على حالها وأضاف إليها بعض التعديلات كما زودها بالعمد الرخام، وما أُهِلَّ شهر رمضان من نفس عام الشروع فى البناء حتى فرغ البيمارستان المُبارك المُؤلف من أربعة إيوانات مُتقابلة مُسقّفة نقياً

---

[١٤] يقصد الملك المنصور قلاوون

[١٥] العسقلانى المصرى (شافع بن على الكاتب العسقلانى المصرى) ت ٧٣٠هـ/١٣٣٠م: كتاب الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمرى، الطبعة الأولى (بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٨) ص ١٦٦

[١٦] يقصد بيمارستان قلاوون

[١٧] يقصد الملك المنصور قلاوون

[١٨] يقصد السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى

[١٩] المقريزى: الخطط، ج٤، ص ٦٩٤

[٢٠] الدار القُطبيّة كانت فى الأصل قاعة ست المُلك ابنة العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله الفاطمى، ثم عُرفت بدار الأمير فخر الدين جهاركس بعد زوال الدولة الفاطمية، ثم نُسبت للملك المُفضّل قُطب الدين أحمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب وصار يُقال لها الدار القطبية، ولم تزل هذه الدار بيد ذريته إلى أن أخذها قلاوون من مؤنسة خاتون – ابنة الملك العادل – المعروفة بالقطبية وعُوضت عنها بقصر الزُمرّد. للاستزادة راجع: ابن عبدالظاهر (محى الدين أبو الفضل عبدالله بن عبدالظاهر المصرى) ت ٦٩٢هـ/ ١٢٩٣م: الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، الطبعة الأولى (القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب، ١٩٩٦) ص ٦٠-٦١؛ المقريزى: الخطط، ج٤، ص ٦٩٢

[٢١] المقريزى: الخطط، ج٤، ص ٦٩٤؛ الطباع الغزى (عثمان مصطفى الطباع الغزى) ت ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م: إتحاف الأعزة فى تاريخ غزة، تحقيق: عبداللطيف زكى أبوهاشم، ٤ أجزاء، الطبعة الأولى (غزة: مكتبة اليازجى،١٩٩٩) ج٢، ص ٢٣٠

[٢٢] كان سنجر الشجاعى مُدبر دولة السلطان قلاوون وقد اشتهر بأنه ذا عزم قوى، وحزم بكل مأمول مَلى، وهيبة رائعة، ومخافة بين أرباب الدواوين ذائعة وشائعة. للاستزادة راجع: العسقلانى المصرى: كتاب الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور، ص ١٦٧

بقباب وأخياط مُعرّقة بالذهب واللازورد والأصباغ المُختلفة، وبكل إيوان شاذروان [٢٣] وبدورقاعة [٢٤] البيمارستان فسقية [٢٥] كبيرة بديعة الشكل تعلوها قبة محمولة على عُمد رخام أبيض يصير إليها الماء من الشاذروانات، كما ألحق بالبيمارستان أربع قاعات مُتفرقة ومطبخ وبيوت برسم الحواصل. [٢٦] (شكل رقم: ١).

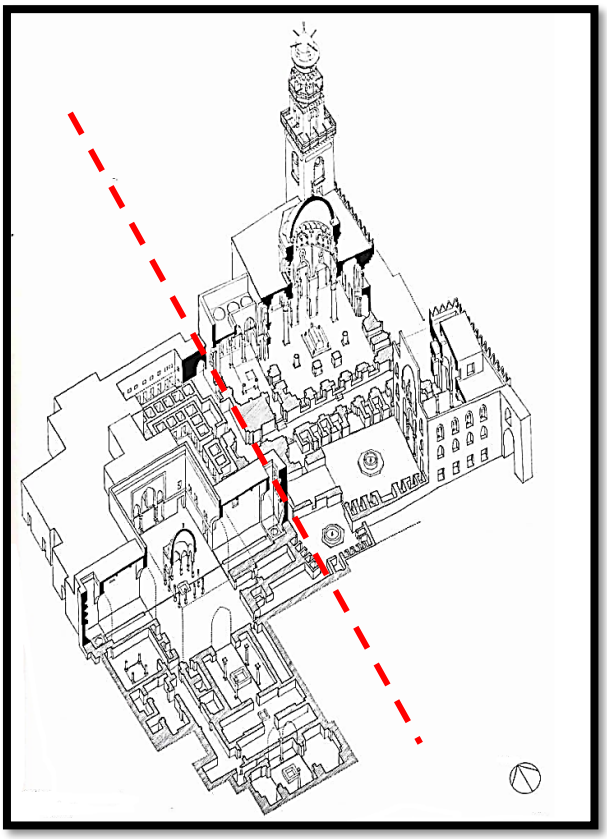

(شكل رقم: ١) منظور يُوضح تخطيط مجموعة السلطان المنصور قلاوون وبخاصة البيمارستان

نقلا بتصرف عن: Doris B. Abouseif: *Cairo of the Mamluks*, p. 133

وقد وُصِفَ هذا البيمارستان وفقا لرواية المؤرخ العسقلانى على أنه:" حَسِن البِناء، طَيب الهواء بَهيج المنظر، جميل المخبر ذا أواوين مُتسعة، وأقانين زُخرفات، ومِياه مُتدفقة، وعمائر مُتأنقة".[٢٧] وما أن أُنجزت عمارة البيمارستان

---

[٢٣] الشاذروان عبارة عن حاجز مائل للماء، ويتكون من صدر خشبى مُزخرف وفتحة يُصب منها الماء فى حوض صغير تحت الصدر يُسمى قرقل، ثم يسيل الماء من القرقل إلى السلسبيل وهو لوح من الرخام أو الحجر المنقوش مركب فى وضع مائل ينحدر من عليه الماء إلى حوض أو صحن يُسمى طشتية أسفله. للاستزادة راجع: محمد محمد أمين، ليلي على إبراهيم: المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية (٩٢٣-٦٤٨هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م) (القاهرة: دار النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، ١٩٩٠) ص ٦٩

[٢٤] الدورقاعة: لفظ مركب من مقطعين: الأول "دُر" ومشتق من اللغة الفارسية ويعنى الباب، والمقطع الثانى"قاعة" ومشتق من العربية، والقاعة من أهم أجزاء البيت. ويستخدم هذا اللفظ المركب فى الوثائق فى العصر المملوكى للدلالة على شيئين: الأول بمعنى الجزء الذى يتوسط القاعة أو المسجد أو المدرسة المبنية على الطراز المتعامد بإيوانين أو أربعة أواوين فالدورقاعة تتوسط هذه الأجزاء ومنها يمكن الدخول إلى أجزاء المدرسة أو القاعة وتكون الأواوين فى هذه الحالة مرتفعة عن مستوى الدورقاعة بمقدار درجة سلم. للاستزادة راجع: محمد محمد أمين، ليلي على إبراهيم: المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية، ص ٥٠-٥١

[٢٥] الفسقية هى كلمة عامية لها عدة دلالات أهمها أنها مجمع المياه كما أنها المحل الذى يدفن به الميت، ومن معانيها حوض الوضوء وهو الحوض المعد لمياه الوضوء والاغتسال بالميضأة وله أشكال متعددة منها المستطيل والمربع والمثمن والمستدير للاستزادة راجع: محمد محمد أمين، ليلي على إبراهيم: المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية، ص ٨٥

[٢٦] ابن عبدالظاهر (محى الدين أبو الفضل عبدالله بن عبدالظاهر المصرى) ت ٦٩٢هـ / ١٢٩٣م: تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور، تحقيق: مراد كامل (الجمهورية العربية المتحدة: الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٦١) ص ٥٦؛ المقريزى: الخطط، ج٤، ص ٦٩٤-٦٩٥؛ محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر، ص ١٥٧-١٥٨

[٢٧] العسقلانى المصرى: كتاب الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور، ص ١٦٨

حتى أوقف قلاوون بيمارستانه على من هو مِثله إلى من هو دونه، وجعله وقفاً على المَلِك والمملوك، والجندى والأمير، والكبير والصغير، والحُر والعبد، والذكور والإناث، ولم يَقْصره على الفُقراء والمساكين. كما جعل قلاوون لمن يخرج من بيمارستانه من المرضى عند برئه كِسوة، ومن مات به جُهِّزَ وكُفِّنَ ودُفِن، كما رتب فيه العقاقير والأطباء وسائر ما يحتاج إليه مَن به مرضُ من الأمراض. [٢٨] فَرُتِب فيه الحُكماء: الطبائعيَّة [٢٩] والكَحالَّين [٣٠] والجرائحيَّة [٣١] والمُجبِّرين [٣٢] لمُعالجة الرمْدى والمرضى والمجروحين والمكسورين من الرجال والنساء. وجعل السلطان فيه فَرَّاشين من الرجال والنساء لخدمة المرضى، وقرر لهم المعاليم، ونَصَبَ الأسِرّة للمرضى وفَرَشها بجميع الفُرش المحتاج إليها. وأَفْرَدَ لكل طائفة من المرضى موضِعاً: فَجعل أواوين المارستان الأربعة للمرضى بالحُمِّيات ونحوها، وأفرد قاعة للرَّمدى، وقاعة للجرحى وقاعة لمن به إسهال، وقاعة للنساء ومكاناً للمبرورين ينقسم إلى قسمين: قِسمٌ للرجال ، وقِسمٌ للنساء وجعل الماء يجرى فى جميع هذه الأماكن، كما أفرد مكاناً لطبخ الطعام ومكاناً للأدوية والأشربة ومكاناً لتركيب المعاجين والأكحال والشِّيفات [٣٣] ونحوها. وخصص قلاوون أيضاً مواضع تُخزَّن فيها الحواصل، وجعل مكانا تُفرق فيه الأشربة والأدوية، ومكاناً يجلس فيه رئيس الأطباء لإلقاء درس الطب ولم يَحصُر عِدَّة المرضى، بل جعله سبيلاً لكل من يَرِد عليه من غنى وفقير، ولا حَدَّدَ مُدة إقامة المريض به، بل رَتَّب من البيمارستان لمن هو مريض بداره سائر ما يحتاج إليه من البيمارستان. [٣٤]

وللأسف الشديد تدهور حال هذا البيمارستان فى وقتنا الحالى، ولم يبقَ منه سوى قسم من الإيوان الشرقى به شاذروان رخامي تنساب إليه المياه على سلسبيل صغير، كما توجد نوافذ تحيط بها أفاريز بها كتابات كوفية، كذلك توجد بقايا من الإيوان الغربى وبه سلسبيل حُلِّيت حافته برسوم حيوانية تنحدر عليها المياه إلى شاذروان رخامي (لوحة رقم: ١، ٢).

---

[٢٨] المقريزى: الخطط، ج٤، ص ٦٩٦

[٢٩] الطبائعيَّة جمع طبائعى Physician، وهو المعروف الآن بإسم طبيب الأمراض الباطنية. راجع: محمد قنديل البقلى: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣) ص ٢٢٨

[٣٠] الكحَّالين جمع كحَّال Oculist، وهو طبيب العيون. راجع: محمد قنديل البقلى: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٢٨٦

[٣١] الجرائحيَّة جمع جرائحى وجراحى Surgeon، وهو طبيب الجراحة. راجع: محمد قنديل البقلى: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٨٣

[٣٢] المُجبِّرين مفرد مُجبِّر Therapist، وهو طبيب جبر العظام. راجع: محمد قنديل البقلى: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٢٩٨

[٣٣] الشِّيفات هى أدوية للعين وعلاجها. للاستزادة راجع: المقريزى: الخطط، ج٤، ص ٦٩٦، هامش رقم (١)

[٣٤] ابن عبدالظاهر: تشريف الأيام والعصور، ص ١٢٧-١٢٨؛ النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويرى) ت ٧٣٣هـ: نهاية الأرب فى فنون الأدب، ٣٣ جزء، تحقيق: إبراهيم شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤) ج٣١، ص ٧١-٧٢؛ ابن حبيب (الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب) ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م: تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه، ٣ أجزاء، تحقيق: محمد محمد أمين (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦) ج١، ص ٣٥٨-٣٦٨؛ المقريزى: الخطط، ج٤، ص ٦٩٦؛ ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى) ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهر، ١٦ جزء، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الطبعة الأولى (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢) ج٧، ص ٣٤٦-٣٤٧

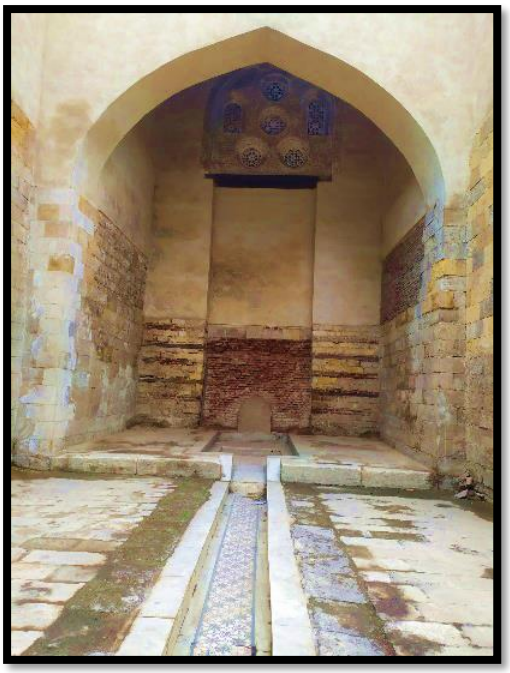

(لوحة رقم: ١) تُوضح بقايا الإيوان الشرقى

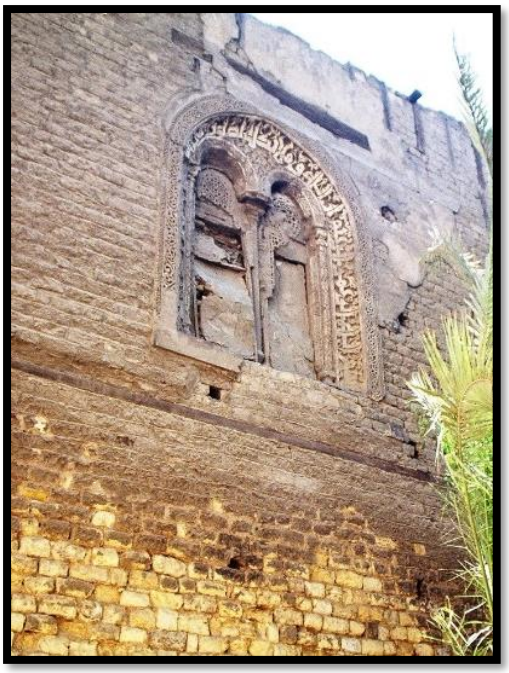

(لوحة رقم: ٢) توضح بقايا أفاريز الكتابات الكوفية

تجديد عمارة جامع أحمد بن طولون والإضافة له وفاءً لنذر حسام الدين لاجين

يُعد الأمير حسام الدين لاجين المنصورى من جملة الأمراء المُتآمرين على الملك الأشرف خليل بن قلاوون [٣٥] فساند الأمير بيدرا [٣٦] ووافقه على قتل الأشرف خليل فقُتِل بالفعل بناحية تَرَّوجة [٣٧] سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٤م وكانت فتنة عظيمة قام خلالها مماليك الأشرف خليل بعمليات انتقامية ممن شاركوا فى مقتل أستاذهم، فاستطاعوا التخلص من المدبّر الرئيس لهذه المؤامرة – وهو الأمير بيدرا – وقتلوه، ثم لاحقوا فيما بعد كل الأمراء المُتآمرين وما كان على هؤلاء الأمراء إلا الهروب أوالاختباء لحين إخماد هذه الفتنة. [٣٨] فاختفى لاجين بجامع أحمد طولون الذى عفى عليه الزمان وخَرِب وأصبح مهجورا آنذاك لا ساكن فيه ولا يُوقد فيه غير سراج واحد، ولا يصعد أحد إلى مئذنته؛ لكى يؤذن فى أوقات الصلاة، وإنما يُؤذن شخص واحد على باب الجامع، وكانت مئذنة الجامع هى

---

[٣٥] تسلطن الملك الأشرف خليل بن قلاوون بعد وفاة أبيه الملك المنصور قلاوون، وكانت سلطنته ثلاث سنوات وشهرين وأيام، وقد قُتِل على يد نائبه بيدرا وجُملة مُستكثرة من الأمراء المُتآمرين. للاستزادة راجع: ابن حبيب: تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه، ج١، ١٣٦-١٤٨؛ المقريزى (تقى الدين أحمد بن على بن عبدالقادر المقريزى) ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢م : السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٢ جزء، تحقيق: محمد مصطفى زيادة وسعيد عبدالفتاح عاشور (القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، ١٩٩٧) ج١، ق٣، ص ٧٥٦-٧٨٢؛ ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى) ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م: مَوردُ اللطافة فى من وَلِىَ السلطنة والخِلافة، جزأن، تحقيق: نبيل محمد عبدالعزيز (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية ، ١٩٩٧) ج٢، ص ٤٢-٤٤؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهر، ج٨، ص ٣-٣٤

[٣٦] هو الأمير بدر الدين بيدرا بن عبدالله المنصورى، نائب السلطنة بالديار المصرية فى دولة الأشرف خليل بن قلاوون. للاستزادة راجع: ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى) ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م: المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى، ١٢ جزء ، تحقيق: نبيل محمد عبدالعزيز ومحمد محمد أمين (القاهرة: مركز تحقيق: التراث، ١٩٨٤- ٢٠٠٦) ج٣، ص ٤٩٣-٤٩٥

[٣٧] هى قرية بمصر من كورة البحيرة من أعمال الإسكندرية. للاستزادة راجع: محمد رمزى: القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م، ٥ أجزاء (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤) ج١، ص ١٩٠

[٣٨] للاستزادة عن فتنة مقتل الأشرف خليل بن قلاوون راجع: ابن تغرى بردى: مَوردُ اللطافة فى من وَلِىَ السلطنة والخِلافة، ج٢، ص ٥١-٥٢؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهر، ج٨، ص ٣-٣٤

موضع اختباء حسام الدين لاجين الرئيس حيث لم يظهر خبره مُدة مقامه بها إلى أن نزل منها. [٣٩] ومن اللافت للذكر أيضا أن هذه المئذنة لم تكن المخبئ الوحيد لحسام الدين لاجين طيلة مُدة إقامته فى الجامع فحسب، بل أخذ يتنقَّل فى بعض زواياه الخربة إلى أن منَّ الله عليه وانكشفت عنه الغمة. [٤٠]

قُدِّرت مُدة بقاء لاجين واختبائه بالجامع الطولونى قُرابة عام، [٤١] وقد ساعدت حالة جامع ابن طولون الخربة على استقرار لاجين فيه دون انكشاف أمره طليلة مُدة إقامته، فلم يتردد عليه الناس؛ لسوء أحوال عمارته وتهدم أركانه وتشعث جدرانه. [٤٢] ويبدو أن تفهّم لاجين مُعاناة الجامع جيدا وتدهور حاله بعدما كان من أرفع جوامع مصر والقاهرة وأبهجها، بالتالى أراد أن يرفع عنه تلك المُعاناة ويُجدد عمارته ويُعيد له عظمته وأبهته وأناقته، فنذر لاجين إلى الله تعالى إن فرَّج عنه كُربته وأعاد الله له سُلطته وتربع على رأس الحكم وأصبح سلطاناً: أن يقوم بعمارة الجامع الطولونى ويُجدده ويُوقِف عليه أوقافاً حسنة.

ويُشير المؤرخ ابن دقماق فى معرض حديثه عن جامع ابن طولون إلى كون نذر حسام الدين لاجين هو السبب فى إعادة عمارته وتجديده وبث الحياة إليه مرة أخرى فجاء نص الرواية كالتالى:"إن الجامع طالت عليه الأيام وأقام خراباً إلى سنة ست وتسعين وستمائه، فأمر بعمارته الملك حسام الدين لاجين المنصورى لكونه لما قتل الملك الأشرف هرب واختفى فيه سنة، فلما مَنَّ الله عليه بالخلاص نذر إن أعطاه الله حُكما ومالاً عَمَّر هذا الجامع وأوقف عليه وقفا جيدا".[٤٣]

ويؤكد المؤرخ العينى على رواية ابن دقماق ويرجع السبب فى تجديد عمارة الجامع الطولونى والإضافة له إلى نذر قد نذره لاجين على نفسه حينما كان مُختبئا فيه إبان فتنة مقتل الأشرف خليل، ويذكر العينى ذلك تصريحا فى روايتين بعقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان: فجاء نص الرواية الأولى كالآتى:"كان مع لاجين مملوك يُسمى بهادر، ومع قراسنقر مملوك يُسمى صمغار. ولما تفرقا دخل قراسنقر المدينة، وراح لاجين إلى جامع ابن طولون فاختفى فى بعض زواياه الخراب، وأقام يتنقل من مكان إلى مكان فى الجامع، وقد نذر فى ذلك الوقت على نفسه إن ستره الله تعالى وسلمت نفسه، عمَّر الجامع وجدده، ورتّب له أوقافا تقوم بوظائفه". [٤٤]

---

[٣٩] ابن الفرات (ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم بن الفرات) ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م: تاريخ ابن الفرات، المجلد الثامن، تحقيق: قسطنطين زريق ونجلاء عزالدين (بيروت: المطبعة الأمير كانية، ١٩٣٩) ص ٢٣٠؛ المقريزى: الخطط، ج٤، ص ٧٦؛ المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٣، ص ٨٢٧

[٤٠] العينى (بدر الدين محمود العينى) ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م: عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان : عصر سلاطين المماليك، ٥ أجزاء ، تحقيق: محمد محمد أمين (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ٢٠١٠) ج٣، ص ٢٣٩

[٤١] حدد ابن دقماق مُدة اختباء لاجين بالجامع الطولونى بسنة كاملة، بينما ذكرها العينى على أنها ثلاثة أيام فقط وأوضح أن لاجين قد خرج بعد الثلاثة أيام – مُدة بقائه بالجامع – إلى القرافة الكُبرى وكان يأوى فى بعض الترب المهجورة. ونعتقد أن رواية ابن دقماق هى الأقرب للصوب من رواية العينى؛ وذلك لكون ابن دقماق هو الأقرب للحدث من العينى بستة وأربعين عاما حيث توفى ابن دقماق عام ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م، بينما توفى العينى عام ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م، ورُبما كان يخرج من الجامع إلى القرافة ويعود خفية. وهذا لا يتنافى مع كون إقامة لاجين بالجامع الطولونى كانت بمثابة الإقامة الدائمة آنذاك مع خروجه منه والعودة إليه ليلا وخفية؛ ليتفقد الأحوال ويعرف مستجدات الفتنة. للاستزادة راجع: ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى) ت ٨٠٩هـ /١٤٠٦م: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، جزأن (بيروت: المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر، د.ت) ج١، ص ١٢٤؛ العينى: عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان : عصر سلاطين المماليك، ج٣، ص ٣٦٠

[٤٢] Tarek Swelim: Ibn Tulun: *His Lost City and Great Mosque* (Cairo: The American University in Cairo Press, 2015) p. 163

[٤٣] ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج١، ص ١٢٤

[٤٤] العينى: عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان : عصر سلاطين المماليك، ج٣، ص ٢٣٩

ورواية العينى الثانية أكثر تفصيلا من الأولى، فجاء نصها:"وكان السبب لذلك ما ذكرناه عندما اتفق للسلطان[٤٥] وقراسنقر من قتل الملك الأشرف، وأن السلطان لما هرب جاء ودخل جامع ابن طولون وأقام فيه ثلاثة أيام هى مُدة إقامته فيه [٤٦] نذر لله تعالى إن خلَّصه من هذه الورطة أن يُعمِّر هذا المكان ويُجدده، وأن يعمل فيه من الخير جهده". [٤٧]

ولما انكشف عن لاجين غُمته وانفرد بحكم البلاد دون مُنازع، وأصبح سلطاناً للبلاد والعباد تَذكَّر نذره وعمل على الوفاء به، فندب – فى نفس عام توليه السلطنة ٦٩٦هـ/ ١٢٩٢م – الأمير علم الدين سنجر الدوادارى [٤٨] ليقوم بتجديد عمارة جامع أحمد بن طولون وترميم ما تَشعَّث من جُدارنه وتبييض ما رمَّ من حِيطانه، وأفرد له عشرين ألف دينار عيناً من خالص ماله ليصرفها على هذه العمارة ومن ثمّ يُوفى بنذره. [٤٩]

وقد شهد جامع أحمد بن طولون إصلاحاً كبيرا لمُعظم وحداته وعناصره المعمارية على إثر نذر لاجين هذا فشملت هذه التجديدات والإصلاحات: مئذنة الجامع التى اختبأ فيها لاجين والفوارة التى بوسط الجامع، والمنبر والمحاريب، والحجرة الكائنة خلف المحراب الرئيس. [٥٠] ونعرض لهذه الواحدات والعناصر المعمارية بإيجاز فيما يلى:

المئذنة:

تقع هذه المئذنة فى الزيادة الشمالية الغربية للجامع، وتُعتبر المئذنة الوحيدة فى مصر ذات السلم الخارجى. تتألف من: قاعدة مُربعة تعلوها دورة اسطوانة، ثم جوسق مُثمن الأضلاع يتكون من طابقين تعلوهما قبة صغيرة مُضلعة على شكل مبخرة (لوحة رقم: ٣). وقد اختلف علماء الآثار فى تأريخ هذه المئذنة وانقسموا إلى فريقين: الفريق الأول أرجح الطابق الأول المربع والطابق الثانى الاسطوانى إلى عهد أحمد بن طولون، كما نَسب – ذات الفريق – الجوسق المُثمن إلى تجديدات السلطان لاجين، بينما أرجع الفريق الثانى المئذنة بالكامل – من قاعدتها إلى قمتها – إلى عهد السلطان لاجين. [٥١]

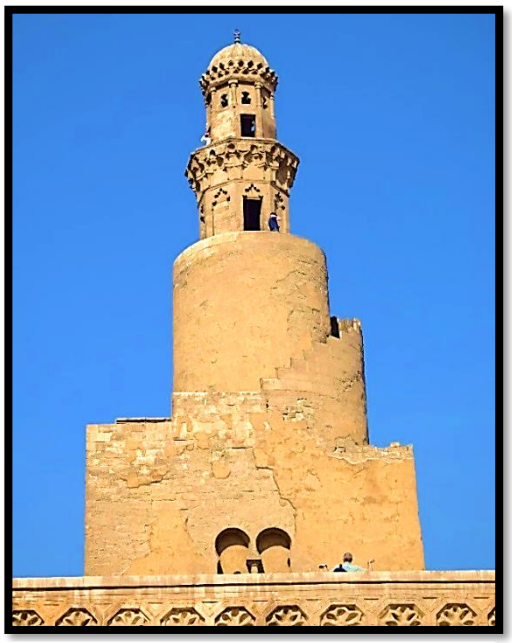

(لوحة رقم: ٣) تُوضح مئذنة جامع بن طولون

[٤٥] يقصد حسام الدين لاجين، ولم يكن سلطانا حينئذ بل كان أميرا.

[٤٦] ناقشنا هذه المدة من قبل، راجع هامش (٤١) من نفس البحث.

[٤٧] العينى: عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان : عصر سلاطين المماليك، ج٣، ص ٣٦٠

[٤٨] هو الأمير الكبير العالم المحدث أبو موسى الأمير علم الدين التركى البرلى الدوادارى. للاستزادة راجع: الصفدى (صلاح الدين خليل بن أيبك) ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م: أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: على أبوزيد وآخرون، ٥ أجزاء (دمشق: دار الفكر، ١٩٩٧) ج٢، ص ٤٦٠-٤٦٤

[٤٩] بيبرس المنصورى (ركن الدين بيبرس بن عبدالله المنصورى الناصرى الدوادارى الخطائى) ت ٧٢٥هـ/١٣٢٥م: زُبدة الفِكرة فى تاريخ الهجرة، تحقيق: دُونالد س. ريتشاردز، الطبعة الأولى (بيروت: الشركة المتحدة للتوزيع، ١٩٩٨) ص٣١٥؛ النويرى: نهاية الأرب فى فنون الأدب، ج٣١، ص ٢٠٣؛ ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، المجلد الثامن، ص ٢٢٩؛ المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٣، ص ٨٢٧

[٥٠] Creswell, K. A. C: *The Muslim Architecture of Egypt*, 2 Vols (London: Oxford University Press, 1959), II, p. 223-229; Tarek Swelim: Ibn Tulun: *His Lost City and Great Mosque*, p. 163-197

[٥١] حسن عبدالوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، جزءان (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٤٥) ج١، ص ٤٢؛ سعاد ماهر محمد: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ٥ أجزاء (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ٢٠١٢) ج١، ص ١٥١؛ فريد شافعى: العمارة =

ونُرجح رأى الفريق الأول من حيث تأريخ الطابق الأول والثانى إلى عهد أحمد بن طولون ونسب الجوسق إلى عهد لاجين، وحُجتنا فى ذلك أن لاجين قد اختبأ بالمئذنة كما أوضحنا من قبل ومعنى ذلك أنه كانت هناك قاعدة لهذه المئذنة تأويه أو على الأقل بقايا منها استتر بها لاجين من عيون رواد المسجد فى أوقات الصلاة. ولو صح رأى الفريق الثانى الذى تبنى فكرة نسب المئذنة بالكلية إلى السلطان لاجين، فهنا نتسائل: أين كان يختبئ لاجين فى أجزاء هذه المئذنة؟ ولماذا لم يستجدها من قاعدتها إلى قمتها على شكل المآذن السائدة إبان القرن ٧-٨هـ/ ١٣-١٤م؟ ولماذا احتفظ بالسلم الحلزونى الخارجى ولم يستبدله بالسلم الداخلى كما كان سائدا فى عصره؟

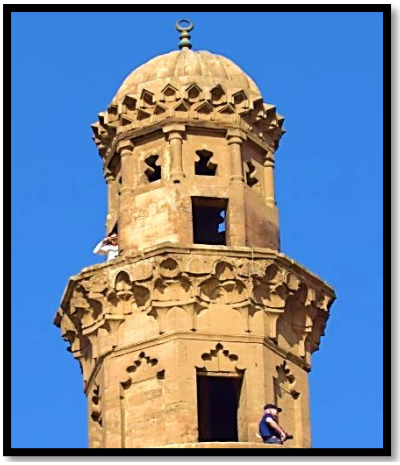

(لوحة رقم: ٤) تُوضح جوسق المئذنة

كما نُرجح أيضا أن الجوسق المُثمن الذى ينتهى بقبة مُضلعة على شكل المبخرة (لوحة رقم: ٤) هو من تجديدات السلطان لاجين – التى جاءت وفاءً لنذره – خصوصا أن تقنية عمل هذا الجوسق واختتامه بمبخرة جاء مُشابها إلى حدٍ كبير لجوسق بعض المآذن السائدة فى مُستهل القرن ٨هـ/ ١٤م كجوسق مئذنة سنجر الجاولى وسلار (٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م) (لوحة رقم: ٥) ثم تطور شكل الجوسق من مُثمن إلى اسطوانى يعلوه قبة صغيرة مُضلعة على شكل مبخرة كما فى مئذنة خانقاه بيبرس الجاشنكير (٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م) (لوحة رقم: ٦) ومئذنة خانقاه قوصون (٧٣٦هـ/ ١٣٣٦م) (لوحة رقم: ٧) بالتالى يتضح بما لا يدع مجالا للشك أن تجديدات لاجين تمثَّلت فى الجوسق الذى ذكرناه مُفصَّلا من قبل.

(لوحة رقم: ٥) تُوضح جوسق مئذنة خانقاه سنجر الجاولى

(لوحة رقم: ٦) تُوضح جوسق مئذنة خانقاه بيبرس الجاشنكير

(لوحة رقم: ٧) تُوضح جوسق مئذنة خانقاه قوصون

= العربية فى مصر الإسلامية عصر الولاة (٢١-٣٥٨هـ/ ٦٣٩-٩٦٩م)، الجزء الأول، الطبعة الثالثة (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٨) ص ٤٨٥

الفوارة (فسقية الوضوء):

كانت تُوجد فوارة [٥٢] بوسط الجامع على عهد أحمد بن طولون ولكنها احترقت فى أوائل العصر الفاطمى إبان سنة ٣٧٦هـ/ ٩٨٦م ولم يبق منها شئ، فأمر العزيز بالله – خلال عام ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م – ببناء فوارة بالجامع الطولونى عوضا عن التى احترقت إلاّ أنها تدهور بها الحال وأُعيد تشييدها مرة ثالثة بأمرٍ من السلطان لاجين ولم تكن الفوارة – فى البداية – فى جامع بن طولون مُستخدمة للوضوء، بل كانت الميضأة القديمة تقوم فى الزيادة الشمالية الغربية بجوار المئذنة؛ وذلك للمحافظة على جدران المسجد أن تُضار من جريان الماء إذا عُملت بداخله.[٥٣]

تُعد الفوارة الحالية من إضافات السلطان لاجين وهى تُشبه إلى حدٍ كبير قبة الدفن [٥٤] ومسقطها على هيئة مربع يبلغ ضلعه ١٤ مترا ولها جدران سمكية من الحجر وبكل جدار من الجُدران الخارجية فتحة باب عريضة تنتهى بعقد مُدبب، ويعلو المسقط المربع منطقة انتقال يعلوها قبة قطاعها مُدبب يبلغ ارتفاعها عن أرضية صحن الجامع إلى قمتها نحو ٣٣ مترا (لوحة رقم: ٨) تتوسط هذه الفوارة من الداخل حُوض مُثمن يُملأ بماء الوضوء (لوحة رقم: ٩) وتتألف منطقة الانتقال من الداخل من أربعة صفوف من المقرنصات يعلوها رقبة القبة التى تزدان بشريط كتابى عبارة عن آيات الوضوء[٥٥] بخط الثلث المملوكى، كما يوجد نقش كتابى على شريط خشبى بالركن الجنوبى الشرقى لرقبة القبة يؤكد نسب هذه الفسقية إلى إضافات وتجديدات السلطان لاجين – التى جاءت وفاءً لنذره – ونص هذا النقش كالتالى:" أمر بإنشاء هذه القبة المباركة والفسقية والساعات الشريفة مولانا السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين لاجين المنصورى فى سنة ست وتسعين وستمائة". [٥٦] (لوحة رقم: ١٠)

(لوحة رقم: ٨) تُوضح تفاصيل فوارة لاجين بالجامع الطولونى من الخارج

---

[٥٢] أطلق عليها فوارة لأنها تفور بالماء، وكانت فوارة هذا الجامع تعلوها قبة مُذهبة مُشبكة من جميع جوانبها تقوم على عشرة عُمد ويحيط بها ستة عشر عمودا فى جوانبها وكلها من الرخام، وتحت القبة قطعة رخام قُطرها متران فى وسطها فوارة تفور بالمياه. للاستزادة راجع: ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج١، ص ١٢٣؛ فريد شافعى: العمارة العربية فى مصر الإسلامية عصر الولاة، ص ٤٨٦

[٥٣] ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج١، ص ١٢٣؛ فريد شافعى: العمارة العربية فى مصر الإسلامية عصر الولاة، ص ٤٨٦

[٥٤] Creswell, K. A. C: *The Muslim Architecture of Egypt*, II, p. 224

[٥٥] نص هذه الآيات:" يأ أيها الذين آمنو إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق، وامسحو برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين، وإن كنتم جنبا فاطَّهّروا، وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط، أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج، ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون".

[٥٦] Max Van Berchem: *Materiaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum, Première Partie Égytpe* (Paris: Libraire de la Société Asiatique de l.'École des Langues Orientales Vivantes, 1903), p. 37; Ét. Combe, J. Sauvaget, and G. Wiet: *Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe*, vol. 18 (Cairo: The French Institute of Oriental Archeology, 1931-1991), XIII, years 680-705 AH (1944), p. 156, (No. 5022); Tarek Swelim: Ibn Tulun: *His Lost City and Great Mosque*, p. 169-173

(لوحة رقم: ٩) توضح الحوض المُثمن الذى يُملأ بماء الوضوء بفوارة الجامع الطواونى

(لوحة رقم: ١٠) تُوضح منطقة الانتقال ورقبة القبة من الداخل بفوارة الجامع الطواونى

المنبر:

يُعد المنبر الحالى من تجديدات السلطان لاجين بالجامع الطولونى، وقد حلَّ محل المنبر القديم الذى اندثر بمرور الزمن. [٥٧] ومنبر لاجين هذا من الخشب حيث اتخذت حشواته من خشب الساج الهندى والأبنوس ودُقت بالأويمة الدقيقة، وقوام زخارفه الأطباق النجمية بالإضافة إلى زخارف مُورقة غاية فى الدقة، ويحتفى هذا المنبر بحشوة خشبية أعلى بابه سُجِّل عليها نقش كتابى أثبت أنه من إَضافات لاجين، ونص هذا النقش كالتالى:"أمر بعمل هذا المنبر المبارك مولانا السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين لاجين المنصورى فى العاشر من صفر سنة ست وتسعين وستمائه".[٥٨] **(لوحة رقم: ١١)**

المحاريب:

تميّز جامع ابن طولون بظاهرة تعدد المحاريب [٥٩] إذ يبلغ عددها ستة محاريب، أقدمهم المحراب الرئيس الذى يقع فى منتصف جدار القبلة: وهو محراب مجوف لم يتبق من عناصره الزخرفية الأصلية إلا واجهته الجصية المحصورة داخل إطار يضم الحنية والأعمدة الأربعة على جانبيها وكوشتى العقد، ثم الشريط الخشبى الذى يحتوى على الكتابة الكوفية البارزة، ثم شريط الزخارف الجصية الذى يعلوه. أما تجويف المحراب نفسه فقد كُسى بألواح الرخام والفسيفساء الرخامية يُتوجها شريط من الفسيفساء الزجاجية المذهبة متعددة الألوان كُتب بها بالخط النسخى:"لا إله إلا الله محمد رسول الله ". أما طاقية المحراب فقد كُسيت بالخشب الملون وزُخرفت بنقوش زيتية، وكل هذه الزخارف والكسوات ترجع إلى أعمال السلطان لاجين. [٦٠] لم يكتف لاجين بتجديد هذا المحراب فحسب، بل شيَّد أعلاه قبة ترتكز على قاعدة مُربعة وبداخلها حطات من المقرنصات الخشبية وصُممت بين هذه المقرنصات شمسيات من الجص والزجاج لتسمح بتوفير الإضاءة الطبيعة فى هذه المنطقة. [٦١] **(لوحة رقم: ١١)**

---

[٥٧] نُقِل المنبر الأصلى من الجامع الطولونى – والذى كان من عهد أحمد بن طولون – إلى الجامع الظاهرى بالمشأة على شاطئ النيل وظل به حتى اندثر. للاستزادة راجع: ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج١، ص ١١٩-١٢٠

[٥٨] Max Van Berchem: *Materiaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum*, p. 36; Ét. Combe, J. Sauvaget, and G. Wiet: *Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe*, XIII, p. 155, (No. 5055);
حسن عبدالوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، ج١، ص ٣٧-٣٨

[٥٩] يرجع الدافع وراء تعدد المحاريب بالجامع الطولونى إلى تعدد المذاهب السنية التى كانت تُدرَّس فيه. للاستزادة راجع: حسن عبدالوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، ج١، ص ٣٧

[٦٠] سعاد ماهر محمد: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ج١، ص ١٤٩؛ فريد شافعى: العمارة العربية فى مصر الإسلامية عصر الولاة، ص ٤٩٤-٤٩٥

[٦١] فريد شافعى: العمارة العربية فى مصر الإسلامية عصر الولاة، ص ٤٨٨

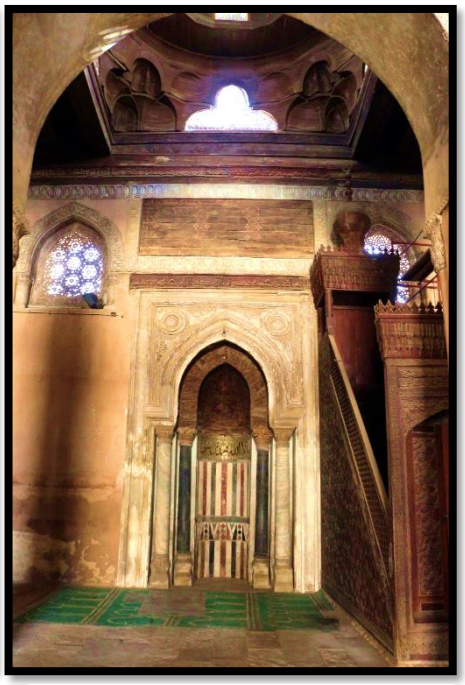

(لوحة رقم: ١١) تُوضح منبر الجامع الطولونى والمحراب الرئيس والقبة أعلى المحراب

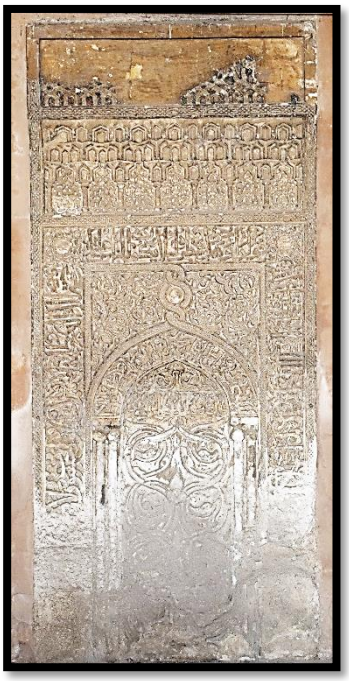

(لوحة رقم: ١٢) توضح بقايا محراب لاجين المُسطح بجدار القبلة

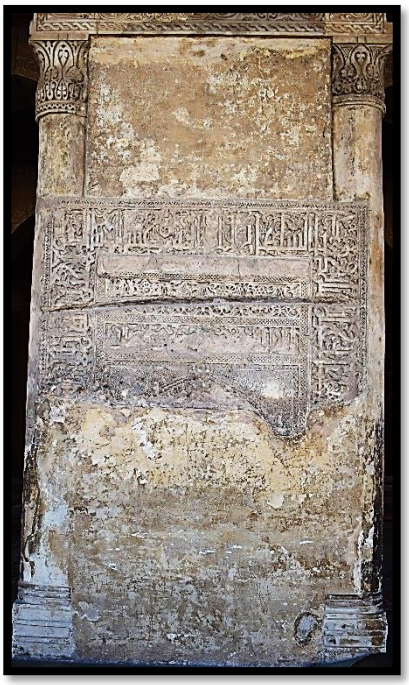

(لوحة رقم: ١٣) توضح بقايا محراب لاجين بالبائكة الثانية

ويُنسب إلى السطان لاجين أيضا عمل المحراب الجصى المعروف بمحراب السيدة نفيسة وهو محراب مُسطح صُمِم بجدار القبلة إلى اليسار من المحراب الرئيس ويبعد عنه نحو ٢٧ مترا (لوحة رقم: ١٢). [٦٢] كما صُمِم محرابين مُسطحين آخرين بالدعامتين القائمتين بمنتصف البائكة الثانية برواق القبلة: نُسب عمل المحراب الأيسر إلى السلطان لاجين وكُتب عليه بالخط الكوفى المزهر ما نصه:" بسم الله الرحمن أمر بإنشاء هذا المحراب المبارك مولانا السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين لاجين سلطان الإسلام والمسلمين ". [٦٣] (لوحة رقم: ١٣)

سقف الحجرة الكائنة خلف محراب الجامع الرئيس:

تقع هذه الحجرة خلف المحراب الرئيس بالجامع الطولونى (لوحة رقم: ١٤) ويتوصل إليها من خلال الباب الكائن بجوار المحراب والذى يُرجح أنه كان يوصل إلى دار الإمارة. وهى حجرة صغيرة تتميز بأهمية خاصة ترجع إلى بقايا السقف الذى كان يُغطيها وبقى منه طنف [٦٤] بارز تحمله كوابيل خشبية أطرافها تُشبه رءوس حيوانات ذات أنياب (لوحة رقم: ١٥) ويُنسب هذا السقف إلى إضافات السلطان لاجين عام ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م والتى جاءت وفاءً لنذره. [٦٥]

---

[٦٢] فريد شافعى: العمارة العربية فى مصر الإسلامية عصر الولاة، ص ٤٩٥

[٦٣] Ét. Combe, J. Sauvaget, and G. Wiet: *Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe*, XIII, p. 157-158, (No. 5024); حسن عبدالوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، ج١، ص ٣٨

[٦٤] الطنف هو بروز أفقى وظيفته تحديد المنطقة الواقعة بين التقاء جدار الأثر وسقفه، كما استخدم الطنف أيضا لتتويج الواجهات الخارجية للأثر. للاستزادة راجع: عاصم محمد رزق: معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، الطبعة الأولى، (القاهرة: مكتبة مدبولى، ٢٠٠٠) ص ١٨٤

[٦٥] فريد شافعى: العمارة العربية فى مصر الإسلامية عصر الولاة، ص ٤٨٩؛
Tarek Swelim: Ibn Tulun: *His Lost City and Great Mosque*, p.167-169

(لوحة رقم: ١٤) توضح الحجرة الكائنة خلف محراب الجامع الطولونى

(لوحة رقم: ١٥) توضح بقايا الطنف بسقف الحجرة الكائنة خلف محراب الجامع الطولونى

وجدير بالذكر أن لاجين لم يكتف بالإضافات والتجديدات المعمارية للجامع الطولونى فحسب بل لُوحظ أن رتَّب فيه ثلاثين نفسا يتفقهون على مذهب الإمام مالك ومعهم شيخهم، ومثلهم على مذهب الإمام الشافعى، وبالمثل على مذهب الإمام أبى حنيفة، ومثلهم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل. كما رتَّب فيه أيضا درسا للتفسير، ودرسا للحديث، وآخر للطب، وقد قررللخطيب معلوما وجعل له إماماً راتباً ومؤذنين وفرَّاشين وقَومَة. ولا غرو فى القول بأن أعيد للجامع الطولونى رونقه أكثر مما كان عليه فى السابق بفضل جهود السلطان لاجين المعمارية وغيرها التى جاءت وفاء لنذره.[٦٦]

نذر إنشاء خانقاه سرياقوس وأثره على الامتداد العمرانى بالمنطقة

يُعد السلطان الناصر محمد بن قلاوون هو الأطول حُكما فى دولة المماليك [٦٧] والأكثر إنشاءً ورعاية للعمارة بشتى أنواعها إذا ما قُورن بحكام دولة المماليك، وأضف إلى ذلك شغفه بعادة الصيد التى اعتاد عليها: فكان كثير الخروج لقضاء نهمته فى هذه العادة، وقد حظيت أطرف القاهرة وبالأخص شماليها بتشريف السلطان الناصر للصيد هناك، وقد اتُفِق ذات يوم أن ركب السطان على عادته للصيد بموضع بشمال القاهرة بالقرب من سماسم سرياقوس حيث أصابه ألم شديد فى بطنه أعجزه عن الحركة وكاد أن يفتك به، فنزل عن فرسه والألم يتزايد عليه فنذر لله تعالى إن عافاه الله سوف يُعمِّر هذا الموضع خانقاه يُعبد فيها الله ويُذكر فيها اسمه. ويؤكد المؤرخ المقريزى

---

[٦٦] السبتى (القاسم بن يوسف التجيبى السبتى) ت ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م: مستفاد الرحلة والإغتراب، تحقيق: عبدالحفيظ منصور (ليبيا: الدار العربية للكتاب، د.ت) ص٤٧؛ ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، المجلد الثامن، ص ٢٢٩؛ المقريزى: الخطط، ج٤، ص ٧٨؛ المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٣، ص ٨٢٧

[٦٧] تولى الناصر محمد بن قلاوون الحكم فى المرة الأولى مدة لم تتجاوز عام فقط (٦٩٣- ٦٩٤هـ/ ١٢٣٩-١٢٩٤م) ثم خلعه كتبغا وحلَّ محله فى السلطنة وحكم قُرابة سنتين وشهور(٦٩٤- ٦٩٦هـ/ ١٢٩٤-١٢٩٦م) حتى طُرد من الحكم على يد لاجين الذى تربع على تخت السلطنة من عام ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م إلى عام ٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م، ولم يستمر لاجين فى الحكم حتى قُتِلَ على يد الأمراء، بالتالى أعيد الناصر محمد للحكم للمرة الثانية والتى استمرت قُرابة عشر سنوات (٧٠٨-٦٩٨هـ/ ١٢٩٨-١٣٠٨م) استكمل خلالها بناء المدرسة التى شرع فيها كتبغا فضلا عن عدة مشروعات أُخرّ ولم يهنأ بفترة حُكمه حتى خلعه بيبرس الجاشنكير واعتلى سُدة الحكم بدلا منه واستمر فى حكم البلاد عشرة أشهر حتى استعاد الناصر الحكم للمرة الثالثة وقتل الجاشنكير وانفرد بالحكم والتدبير دون منازع طيلة اثنان وثلاثون عاما (٧٠٩-٧٤١هـ/ ١٣٠٩-١٣٤٠م).

على كون نذر الناصر محمد بن قلاوون هو الأساس فى عمارة خانقاه سرياقوس ويُشير إلى ذلك فى روايته قائلا:"هذه الخانقاه خارج القاهرة من شماليها، على نحو بريد منها، بأول تيه بنى إسرائيل بسَماسِم سرياقوس، أنشأها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، وذلك أنه لما بنى الميدان والأحواش فى بركة الجُبّ، اتُفق أنه ركب على عادته للصيد هناك، فأخذه ألمٌ عظيم فى جوفه كاد يأتى عليه، وهو يتجلّد ويكتم ما به حتى عجز، فنزل عن الفرس والألم يتزايد به، فنذر لله إن عافاه الله ليبنينّ فى هذا الموضع موضعاً يُعبد الله تعالى فيه، فخفّ عنه ما يجده وركب فقضى نهمته من الصيد وعاد إلى قلعة الجبل، فلزم الفراش مُدة أيام، ثم عُوفى، فركب بنفسه ومعه عِدة من المهندسين، واختط على قدر ميل من ناحية سرياقوس هذه الخانقاه وجعل فيها مائة خُلوة لمائة صُوفى، وبنى بجانبها مسجداً تُقام فى الجمعة". [٦٨]

وقد كملت عمارة الخانقاه فى يوم الإثنين السادس من شهر جمادى الآخرة سنة ٧٢٥هـ/ التاسع من شهر مايو سنة ١٣٢٥م، [٦٩] "فجاءت فى أحسن قالب وأبدع صنعة ولا يوجد نظير لها فى المعمور من اتقان الوضع وحسن البناء والنقش فى الجص بحيث لا يقدر أهل المشرق على مثله". [٧٠] وبعد الانتهاء من عمارة هذه الخانقاه خرج إليها السلطان الناصر محمد بنفسه ومعه الأمراء والقضاة ومشايخ الخانقاوات بمصر وقدمت هناك أسمطة عظيمة بداخل الخانقاه، وقرر السلطان فى مشيخة هذه الخانقاه الشيخ مجد الدين موسى بن أحمد الأقصرائى ولقّبَه بشيخ الشيوخ،[٧١] ورتب بها مائة من الصوفية، وألبس أرباب الوظائف الخلع السَنيّة وفرَّق على الفقراء نحو من ثلاثين ألف إلى ستين ألف درهم فضة. [٧٢]

ويُستنتج من رواية المقريزى أنّ سبب عمارة خانقاه سرياقوس هو النذر الذى تعهد به السلطان الناصر محمد على نفسه، ولا شك أن تسبب هذا النذر فى عمارة المنطقة بأكملها وتوسع وامتداد العمران بها حيث لم يكتف الناصر محمد بعمارة الخانقاه فحسب، بل تبنى مشروعاً معمارياً طموحاً تمثَّل فى بناء مسجد جامع بجوار هذه الخانقاه، كما حدد مكان برسم ضيافة الواردين إليها وألحق بها حماماً ومطبخا، وندب السلطان الناصر محمد الأمير آقسنقر – شاد العمائر – لجمع الصناع المهرة للمشاركة فى إقامة هذا المشروع المعمارى الطموح. [٧٣] ولرغبة السلطان الناصر محمد فى تزايد العمران حول خانقاته لوحِظ أن رَغَّب أمرائه وغيرهم فى السكن والتعمير بالقرب من هذه الخانقاه، ولا غرو أن رتَّب السلطان بنفسه قصوراً برسم الأمراء الخاصكية؛ لجعل المنطقة أكثر جاذبية للسكنى والتعمير بها. [٧٤]

وكانت عمارة خانقاه سرياقوس وما حولها من قصور وغيرها من المبانى الأخرى سبباً لحفر الخليج الناصرى بظاهر القاهرة والذى لعب دورا بارزاً فى تزويد المنطقة بمصادر المياه[٧٥] حيث عُمِّرت عليه السواقى وأنشئت

---

[٦٨] المقريزى: الخطط، ج٤، ص ٧٦٧-٧٦٨

[٦٩] المقريزى: الخطط، ج٤، ص ٧٦٨؛ المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٢، ق١، ص ٢٦٢

[٧٠] ابن بطوطة (أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم اللواتى الطنجى) ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م: كتاب رحلة ابن بطوطة المسماة بتحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، جزأن، الطبعة الأولى (القاهرة:المطبعة الخيرية، ١٩٠٤) ج١، ص ٢٧

[٧١] صار لقب شيخ الشيوخ يُنعت به الشيخ مجد الدين موسى الأقصرائى ولكل من وُلىَّ بعده مشيخة الخانقاة، وكان قبل ذلك لا يُنعت بشيخ الشيوخ إلا شيخ خانقاة سعيد السعداء. راجع: المقريزى: الخطط، ج٤، ص ٧٦٨

[٧٢] ابن حبيب: تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه، ج٢، ص ١٤٩-١٥٠؛ المقريزى: الخطط، ج٤، ص ٧٦٨-٧٦٩؛ المقريزى: السلوك، ج٢، ق١، ص ٢٦٢-٢٦٣

[٧٣] المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٢، ق١، ص ٢٦١؛ شاهندة فهمى عبدالكريم: جوامع ومساجد أمراء السلطان الناصر محمد بن قلاوون، رسالة دكتوراة غير منشورة (جامعة القاهرة: كلية الآثار، ١٩٨٧) ص ٢٧٩

[٧٤] المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٢، ق١، ص ٢٦١

[٧٥] المقريزى: الخطط، ج٤، ص ٧٦٨

بجانبيه البساتين والأملاك. [٧٦] وقد ساهم الخليج الناصرى بشكل فاعل فى ترغيب الناس فى السُكنى بالقرب من هذه الخانقاه إعمالا بمبدأ الناس على دين ملوكهم، ومن ثمَّ شيَّدوا الدور والحوانيت والخانات حتى تزايد العمران حول هذه الخانقاه وصارت بلدة كبيرة تُعرف بـ "خانقاه سرياقوس". وتزايد الناس بها حتى أنشئ فيها سوى حمّام الخانقاه عِدة حمامات أخرى، هذا وقد عُمِلَ بالقرب من الخانقاه سوق يُباع فيه: الخيل والحمير، والغنم، والدجاج والأوز، وأصناف الغلات، وأنواع الثياب وغير ذلك، ولا يؤخذ مَكسٌ مما يُباع من سائر الأصناف احتراما لمكان الخانقاه. [٧٧]

بالتالى أصبحت خانقاه سرياقوس وما حولها منطقة جاذبة للسُكنى وآهلة بحركة التعمير والإنشاء، ولم تزل البُقعة حول الخانقاه تتزايد ويمتد حولها العمران إلى أيام الملك الأشرف برسباي الذى عمَّر بها جامعا – وفاء لنذر أيضا قد تعهد به على نفسه – ولم تزل الناس أيضا تبنى وتُعمِّر بها الدور الجليلة والأماكن الفاخرة حتى صارت مدينة على انفرادها، فقطنها أعيان الناس وأصبحت من كور مصر.[٧٨] ومع المحن التى دَبَّت بمصر فى مُستهل سنة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٤م، [٧٩] لُوحِظ أن تَقلّص دور هذه الخانقاه وبدأ يتلاشى أمرها حتى اندثرت نهائيا بمرور الوقت ولم يتبق شئ من عمارتها فى الوقت الحاضر، وظلَّت المنطقة حولها كما هي مدينة تعرف بخانقاه سرياقوس.

عمارة الجامع المؤيدى وفاءً لنذر السلطان المؤيد شيخ

رغب السلطان المؤيد شيخ عقب اعتلائه سُدة الحكم أن يكون له تِذكار معمارى على نسق من سبقوه من السلاطين، وأراد أن يبنى مدرسة وجامعا بالقاهرة، فشاور بعض نُدمائه فى ذلك وأطلعهم على ما يجول بخاطره ورغبته المُلحة هذه، فاقترح أكثر هؤلاء النُدماء على المؤيد شيخ أن يأخذ الموضع المقابل لمدرسة وخانقاه الظاهر برقوق ببين القصرين ويُشيِّد بهذا المكان مدرسته بحيث تكون تذكار له بين مدارس السلاطين هناك، ولم يرض المؤيد شيخ بذلك وتحجج بنذر قديم قد تعهد به سالفا وردد قائلا:"على نذر الله أن أهدم خزانة الشمائل وأبنى مكانها مدرسة وجامعا، وأريح الناس من هذا الموضع النحس الذى كل من يسمع به يدخل فى قلبه رُعب". [٨٠]

وتُعد خِزانة الشمائل [٨١] من أبشع السجون خلال العصر المملوكى، ويرتبط اسمها بالأمير علم الدين شمائل – والى القاهرة فى عهد السلطان الملك الكامل محمد بن العادل – الذى يُعتقد أنه مُشيِّد هذا السجن بالقرب من باب زويلة داخل القاهرة المُسوّرة. [٨٢] وقد اشتُهر هذا السجن بأنه من أبشع السجون وأقبحها منظرا إبان العصر المملوكى، حيث كان يُحبس فيه من وجب عليه القتل وبخاصة من يُريد السلطان إهلاكه من المماليك، بالإضافة إلى المُجرمين من قُطّاع الطرق وغيرهم.[٨٣] ومن سوء حظ الملك المؤيد شيخ أن حُبس بخزانة الشمائل وهو لا يزال

---

[٧٦] حياة ناصر حجى: السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف فى عهده، الطبعة الأولى (الكويت: مكتبة الفلاح، ١٩٨٣) ص١٢٧

[٧٧] المقريزى: الخطط، ج٤، ص ٧٦٩

[٧٨] ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفى) ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م: بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، ٥ أجزاء، تحقيق: محمد مصطفى، الطبعة الأولى (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤) ج١، ق١، ص ٤٥٥

[٧٩] وقع فى هذه السنة غلاء مُفرط فى الأسعار، وفشَى وباء الطاعون الذى نال من أغلبية الشعب المصرى آنذاك وخَربت إبان هذه السنة مُعظم الديار المصرية وأعمالها، كما استمرت هذه المحن من سنة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م إلى سنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م. للاستزادة عن هذه المحن راجع: المقريزى (تقى الدين أحمد بن على بن عبدالقادر المقريزى) ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢م : إغاثة الأُمة بِكشف الغُمة، تحقيق: كرم حلمى فرحات، الطبعة الأولى (القاهرة: دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٧) ص ٧٧-١٥٥

[٨٠] العينى (بدر الدين محمود العينى) ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م: عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان: الحوادث والتراجم من سنة ٨١٥هـ إلى سنة ٨٢٤هـ ، تحقيق: عبدالرازق الطنطاوى القرموط (القاهرة: مطبعة علاء، ١٩٨٥) ص ٢٢٥-٢٢٦

[٨١] أحيانا تُكتب شمائل أو شمايل

[٨٢] هالة نواف الرفاعى: السجون فى مصر فى العصر المملوكى (٦٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)، رسالة ماجستير غير منشورة (الجامعة الأردنية: كلية الدراسات العليا، ٢٠٠٨)

[٨٣] المقريزى: الخطط، ج٣، ص ٦٠٠؛ العينى (بدر الدين محمود العينى) ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م: السيفُ المُهند فى سيرة الملكِ المُؤيَّد شيخ المحمودى، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، الطبعة الثانية (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ١٩٩٨) ص ٤٦

أميراً فى أيام تغلُّب الأمير منطاش وقبضه على المماليك الظاهرية [٨٤] وقد قاسى الأمير شيخ طيلة مُدة إقامته بخزانة شمائل شدائد كثيرة لا توصف من الضيق والخوف، فضلا عن معاناته من البق والبراغيث التى اشتهرت بها هذه الخزانة، فنذر لله تعالى إن نجا بنفسه وروحه وكُتِب له الخروج من هذا السجن، وتَيسَّر له ملك مصر ومَلِك القاهرة: أن يهدم خزانة الشمائل ويبنى مكانها جامعاً يّذكر فيه الله عز وجلّ ومدرسة لأهل العلم. [٨٥]

وقد أكد مؤرخو العصر على كون نذر الأمير شيخ هو الأساس والسبب الرئيس فى بناء مدرسة وجامع المؤيد شيخ الكائن بجوار باب زويلة، حيث أشار المقريزى إلى ذلك فى روايته قائلا:"وكان السبب فى اختيار هذا المكان دون غيره، أن السلطان حُبس فى خزانة شمائل هذه أيام تغلب الأمير منطاش وقبضه على المماليك الظاهرية فقاسى فى ليلة من البق والبراغيث شدائد فنذر لله تعالى إن تيسّر له مُلك مصر أن يجعل هذه البقعة مسجدا لله تعالى عز وجلّ ومدرسة لأهل العلم، فاختار لذلك هذه البقعة وفاءً لنذره". [٨٦]

كما أكد المؤرخ ابن حجر العسقلانى على رواية المقريزى من حيث كون نذر الأمير شيخ هو السبب فى إنشاء مدرسته وجامعه بجوار باب زويلة، ونص على ذلك فى روايته قائلا:"وفيه ابتدئ بعمارة المدرسة المؤيدية داخل باب زويلة، وسببه أن المؤيد كان حُبس فى خزانة شمائل فى أيام فتنة منطاش، فنذر لئن الله نجاه وملَّكه القاهرة أن يبنى مكانها جامعاً يقام فيه ذكر الله".[٨٧]

وللمؤرخ العينى رواية أيضا تؤكد روايتى المقريزى وابن حجر العسقلانى نصها كالتالى:"كان السبب فى ذلك أن السلطان قد حُبس فى خزانة الشمائل فى أيام فتنة منطاش، فقاسى فيه من الضيق والبق والخوف مالا يُوصف فلما رأى ذلك نذر لله تعالى إن أنجاه من هذا وملَّكه فى الديار المصرية، يهدم هذا الحبس ويبنى موضعه مسجدا يُذكر فيه اسم الله تعالى وتُقام فى الصلوات". [٨٨] كما أدلى المؤرخ السخاوى بدلوه وأرجع سبب بناء الجامع المؤيدى إلى نذر الأمير شيخ ونص على ذلك فى روايته التى نصها:"وكان ممن سُجِنَ قبل ذلك من مماليكه فى فتنة منطاش بخزانة شمائل، ونذر حينئذ إن نجاه الله تعالى منها أن يجعلها مسجداً". [٨٩]

ومن فضل الله تعالى أن مَنَّ على الأمير شيخ وخرج من غياهب هذا السجن وتقلبت به الأحول حتى ارتقى إلى درجة السلطنة فى مُستهل شعبان سنة ٨١٥هـ/ نوفمبر سنة ١٤١٢م، فكان أول شئ يقوم به بعد اعتلائه سُدة الحكم هو تأمين جبهته الداخلية والخارجية من الأمراء المُخامرين عليه، فأخلع على الأمراء الثِقات من حوله وساس البلاد أحسن سياسة وتعامل مع أعدائه بفطنة وكياسة حتى استقرت أحواله وتثبتت أركانه، وقد استغرق ذلك قرابة سنتين وسبعة أشهر، ثم تفرغ السلطان المؤيد شيخ بعد للوفاء بنذره الذى قطعه على نفسه، فتوجه إلى خزانة شمائل فى مُستهل شهر ربيع الأول سنة ٨١٨هـ/ مايو ١٤١٥م وأمر بهدمها، ولم يكتف بمساحة أرض خزانة شمائل

---

[٨٤] كانت هذه المحنة عام ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م وقد تغلَّب فيها الأمير منطاش وقبض على مُعظم مماليك الظاهر برقوق، كما تم اضطهاد البقية منهم، وكان الأمير شيخ من جُملة من طالتهم يد البطش. وهناك رواية أخرى تبناها المؤرخ ابن إياس مَفادها: أن الأمير شيخ قد حُبس مُدة طويلة فى أيام السلطان الناصر فرج بن برقوق بحبس شمائل. للاستزادة راجع: المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٣، ق٢، ص ٦٢٠-٦٨٢؛ ابن حجر العسقلانى (العلامة الحافظ أحمد بن على بن محمد المشهور بابن حجر العسقلانى) ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م: إنباءُ الغُمرْ بأَبناءِ العُمرْ، تحقيق: حسن حبشى، ٤ أجزاء (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ٢٠١١) ج١، ص ٣٦٠-٣٨١؛ ابن إياس: بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، ج٢، ص٤

[٨٥] إبراهيم على طرخان: مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ١٣٨٢م – ١٥١٧م (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٠) ص٣١٥؛ فهمى عبدالعليم: جامع المؤيد شيخ، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية (القاهرة: مطابع هيئة الآثار المصرية، ١٩٩٤) ص٢٣

[٨٦] المقريزى: الخطط، ج٤، ص٣٤٢

[٨٧] ابن حجر العسقلانى: إنباءُ الغُمرْ بأَبناءِ العُمرْ، ج٣، ص٥٦

[٨٨] العينى: عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان: الحوادث والتراجم من سنة ٨١٥هـ إلى سنة ٨٢٤هـ ، تحقيق: عبدالرازق الطنطاوى القرموط، ص ٢٢٥

[٨٩] السخاوى (شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوى) ت ٩٠٢هـ/١٤٩٧م: الضَّوْءُ اللامع لأهل القرن التاسع، ١٢ جزء، الطبعة الأولى (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢) ج٣، ص ٣٠٩

وحدها لكى تستوعب مشروعه المعمارى الطموح، بل استولى على قيسارية سُنقر الأشقر [٩٠] ورسَّم السلطان بنقل سكانها فى الرابع من شهر ربيع الأول سنة ٨١٨هـ/ مايو ١٤١٥م، كما كشف المؤيد شيخ هناك أرضاً واسعة تَصلح لاستيعاب مشروعة المعمارى ومن ثم يُوفى بنذره الذى تعهد به أمام الله عز وجل، ونتيجة لذلك نزل الأمير التاج – والى القاهرة – فى اليوم التالى إلى موضع خزانة الشمائل وما حولها وصُحبته جماعة من أرباب الدولة وابتدأ بهدم القيسارية المذكورة وما حولها: فَهُدمت الدُور وهُدمت خزانة الشمائل: فوجد بها من رِمم القتلى ورءوسهم شئ كثير، وأُفرِد لنقل ما خرج من التراب الناتج عن أعمال الهدم عِدة من الجمال والحمير بلغت علائقهم فى كل يوم خمسمائة عليقة. [٩١] وقد قُدّرت المُدة المُستغرقة لأعمال الهدم ورفع الأنقاض بنحو ثلاثة أشهر استطاع المؤيد شيخ أن يحصل على مساحة داخل القاهرة المُسورة مناسبة لتطلعاته وطموحاته المعمارية، حيث قُدّرت المساحة الكلية لمخطط الجامع حوالى ٦٩٧٠ متر مربع، وهى فى الحقيقة مساحة كبيرة جدا لم يحظ بها أى سلطان مملوكى آخر داخل أسوار القاهرة. [٩٢]

وبمجرد أن انتهت أعمال الهدم وإخلاء المنطقة من التراب والأنقاض بُدئ بحفر أساس الجامع المؤيدى المجاور لباب زويلة فى الرابع من شهر جمادى الآخرة سنة ٨١٨هـ/ العاشر من شهر أغسطس سنة ١٤١٥م. [٩٣] ومن المُلاحظ أن استمرت أعمال الحفر حوالى ثمانية أشهر حتى وقع الشروع فى بناء الجامع فى الخامس من شهر صفر سنة ٨١٩هـ/ الثالث من شهر إبريل سنة ١٤١٦م، حيث رتَّب المؤيد شيخ آنذاك لإنجاز هذا العمل صُناعا وبنائين ومهندسين وعتالين وفَعلة وغيرهم أناس كثيرين، [٩٤] فبلغ عدد البنائين بضع وثلاثون بَنّاءً يُساعدونهم ويُناولونهم مائة من الفَعلة، [٩٥] كما قُرِّر الأمير ططر [٩٦] شاداً على العمارة، وبهاء الدين البُرجى [٩٧] فى النظر على العمارة المذكورة. [٩٨]

وقد استغرقت مُدة بناء هذه الجامع قُرابة ثلاث سنوات وثمانية أشهر حتى انتهت أعمال البناء وأصبح جاهزا للافتتاح إبان شهر شوال سنة ٨٢٢هـ/ أكتوبر سنة ١٤١٩م. حينئذ نزل السلطان المؤيد شيخ بالجامع لافتتاحه

---

[٩٠] قيسارية سنقر تقع على يسرة من يدخل من باب زويلة، فيما بين خزانة الشمائل ودرب الصفيرة. وسنقر الأشقر هذا هو سنقر بن عبدالله الصالحى النجمى، كان من عُتقاء الملك الصالح نجم الدين أيوب. للاستزادة راجع: ابن أيبك الدوادار (أبى بكر بن عبدالله بن أيبك الدوادار) د. ت: كنز الدرر وجامع الغرر، ٩ أجزاء، تحقيق: بيرند راتكة وآخرون (القاهرة: المعهد الألمانى للآثار بالقاهرة، ١٩٨٢) ج٨، ص ٣٤٠؛ المقريزى: الخطط، ج٣، ص ٢٨٨؛ ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى) ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م: الدليل الشافى على المنهل الصافى، جزأن، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، الطبعة الثانية (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٩٩٨) ج١، ص ٣٢٧

[٩١] المقريزى: الخطط، ج٤، ص ٣٤٠؛ المقريزى: السلوك، ج٤، ق١، ص ٣١١؛ ابن حجر العسقلانى: إنباءُ الغُمرْ بأبناءِ العُمرْ، ج٣، ص ٥٦

[٩٢] Tarek Amin El-Akkad, The Aesthetics of Islamic Architecture and the Exuberance of Mamluk Design, a doctorate thesis (International University of Catalonia: Higher Technical School of Architecture, 2013) p. 287

[٩٣] المقريزى: الخطط، ج٤، ص ٣٤٢؛ المقريزى: السلوك، ج٤، ق١، ص ٣٢٠؛ ابن حجر العسقلانى: إنباءُ الغُمرْ بأبناءِ العُمرْ، ج٣، ص ٥٦-٥٧؛ الصيرفى (الخطيب الجوهرى على بن داود) ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م: نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان، تحقيق: حسن حبشى، ٣ أجزاء (القاهرة: مطبعة دار الكتب، ١٩٧٠) ج٢، ص٣٥١

[٩٤] العينى: السيفُ المُهند فى سيرة الملكِ المُؤيَّد شيخ المحمودى، ص ٢٧٢

[٩٥] المقريزى: الخطط، ج٤، ص ٣٤٢؛ ابن حجر العسقلانى: إنباءُ الغُمرْ بأبناءِ العُمرْ، ج٣، ص ٩٠؛ السخاوى الحنفى (أبى الحسن نور الدين على بن أحمد بن عمر بن خلف بن محمود) ت ٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م: تُحفة الأحباب وبُغية الطُلاب فى الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات، تحقيق: محمود ربيع وحسن قاسم، الطبعة الأولى (القاهرة: مكتبة النشر والتأليف الأزهرية، ١٩٣٧) ص ١٠١-١٠٢

[٩٦] كان ططر من صغار مماليك الظاهر برقوق، ثم أصبح من خاصكية ولده الملك الناصر فرج إلى أن انضم لنوروز والمؤيد شيخ فلما تسلطن المؤيد تأمَّر ولا زال يترقى حتى صار أحد المقدمين، بل عمله المؤيد نائب غيبته. للاستزادة راجع: ابن حجر العسقلانى: إنباءُ الغُمرْ بأبناءِ العُمرْ، ج٣، ص ٢٥٧؛ السخاوى: الضَّوْءُ اللامع لأهل القرن التاسع، ج٤، ص ٧-٨

[٩٧] بهاء الدين محمد بن البرجى ولى الحسبة مِراراً ووكالة بيت المال، وكان قد استقر فى شهادة العمائر السلطانية بواسطة ططر. للاستزادة راجع: ابن حجر العسقلانى: إنباءُ الغُمرْ بأبناءِ العُمرْ، ج٣، ص ٢٦٤

[٩٨] ابن حجر العسقلانى: إنباءُ الغُمرْ بأبناءِ العُمرْ، ج٣، ص ٥٧

رسميا [٩٩] فَمُدّت الأسمطة بصحن الجامع ومُلئت البِركة التى بالصحن بالسُكر المُذاب فأكل الناس ونهبوا وارتوا من السكر المُذاب، وحملوا منه وما قدروا عليه. وبعد الفراغ من ذلك قرر السلطان الوظائف بالجامع وعيّن الفقهاء والقضاة وشيخ الشيوخ كما أجرى لهم المعاليم والأرزاق والجرايات، واختتم اليوم بالإنعامات والخلع السنية، فكان يوماً مشهوداً وجمعاً محموداً. [١٠٠]

ولا غرو أن عُدَّ جامع المؤيد شيخ من روائع العمارة المملوكية؛ لعِظم بنائه وحُسن هندامه مما أبهر السلطان سليم الأول العثمانى لما كان بمصر ودخل جامع المؤيد شيخ فقال فى عمارته:"هذه عمارة الملوك". [١٠١] وعن تخطيط الجامع: فيتكون من صحن أوسط مكشوف مستطيل الشكل تُحيط به أربعة أروقة، الرواق الجنوبى الشرقى (رواق القبلة) هو الرئيس الأكبر والأوسع حيث يتألف من ثلاثة بوائك مُوازية لجدار القبلة، ويكتنفه فى طرفيه قبتين زجزاجيتن كبيرتين. والرواق الشمالى الغربى أقل عُمقا وحجما من رواق القبلة المواجه له، فيتكون من بائكتين موازيتين لجدار القبلة، بينما الرواقين الجانبيين: البحرى (الشمالى الشرقى) والقبلى (الجنوبى الغربى) فيتكون كل منهما من بائكتين عموديتين على جدار القبلة. هذا وقد حفِل جامع المؤيد شيخ بأربعة أبواب: الباب الأول وهو الرئيس ويقع بالطرف الأيسر للواجهة الرئيسة المُطلة على شارع المعز لدين الله الفاطمى، والباب الثانى يوجد فى الركن الشمالى من الواجهة الشمالية الغربية والباب الثالث يوجد فى الركن الغربى من الواجهة الشمالية الغربية للجامع بشارع تحت الربع الحالى، أما الباب الرابع – وهو صغير – فيوجد بشارع تحت الربع شمال غرب الباب الثالث وللجامع ثلاث مآذن: إحداها على الجهة البحرية بجوار الباب الثانى الذى شغل الركن الشمالى من الواجهة الشمالية الغربية للجامع، والمئذنتين الآخرتين صُممتا أعلى بُرجى باب زويلة وكان مُلحقا بالجامع سبيل بجوار الباب الرئيسى، وبالجهة الشمالية الغربية من الرواق الشمالى الغربى يوجد دهليز مكشوف فاصل بين الجامع وبين محلقاته المُتمثلة فى الميضأة والحمام ومساكن الطلبة واسطبل وساقية. [١٠٢] (شكل رقم:٢)

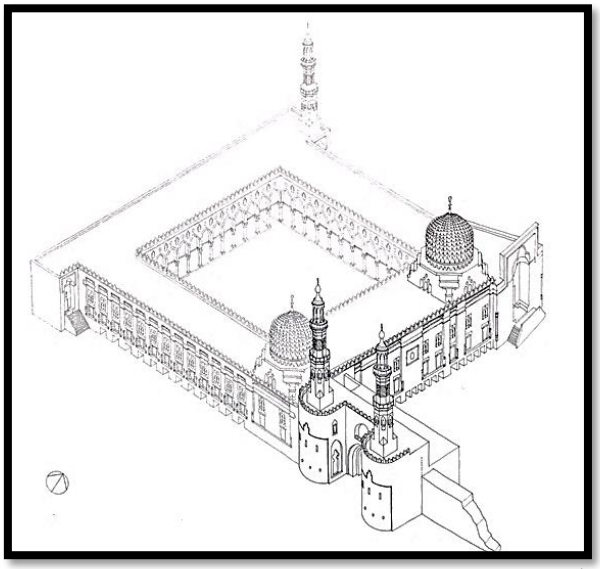

(شكل رقم: ٢) منظور يوضح تخطيط جامع المؤيد شيخ ويظهر كل عناصره ووحداته المعمارية

نقلا عن: Doris B. Abouseif: *The Minarets of Cairo*, p. 212

[٩٩] ابراهيم على طرخان: مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة، ص ٣١٥؛ فهمى عبدالعليم: جامع المؤيد شيخ، ص ٢٤

[١٠٠] المقريزى: الخطط، ج٤، ص ٣٤٦؛ الصيرفى: نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان، ج٢، ص ٣٦٦، ٤٥٠

[١٠١] الإسحاقى المنوفى (محمد عبدالمعطى بن أبى الفتح بن أحمد بن عبدالمغنى بن على الإسحاقى المنوفى) ت ١٠٦٠هـ/ ١٦٥٠م: أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول (القاهرة: مكتبة ملتزمية، د.ت) ص ١٢١

[١٠٢] فهمى عبدالعليم: جامع المؤيد شيخ، ص ١٠٩، ١١١

نذر إنشاء جامع السلطان برسباي بخانقاه سرياقوس

اضطربت الأحوال ببلاد الشام إبان فترة حكم السطان برسباي وتعرضت الأجزاء الشمالية منها لحملات عدوانية من قِبَل قرايلك [١٠٣] – حاكم آمد – [١٠٤] وما كان على السلطان برسباي إلا أن أرسل إليها التجاريد من مصر للقضاء على هذه الحملات، وكثيرا ما كانت تنسحب قوات قرايلك إلى بلادها فيأمر السلطان بإبطال سفر هذه التجاريد. [١٠٥] ولما تكررت اعتداءات ومناوشات قرايلك أشاع برسباي أمر السفر بنفسه إلى البلاد الشامية للتصدى لغطرسة قرايلك، وعلَّ ذلك يُخيف قرايلك ويحمله على لزوم الطاعة والانضواء تحت لوائه. ولكن يبدو أن ذلك لم يتحقق وعُومل سلطان مصر باستهانة واستخفاف، ولذلك كان لزاما على برسباي أن يُحقق ما أشاعه فقررالخروج بنفسه بالفعل على رأس حملة لمحاربة قرايك وذلك بعد تردد كبير؛ لحفظ ماء وجهه حيث كان مُتهيبا من هذه الحرب، وخرج مخافة العار والقالة السيئة عنه، والمحافظة على هيبته ودولته. [١٠٦]

تجهز السلطان برسباي لهذه الحرب جيدا وخرج من القاهرة قاصدا آمد حيث مقر قرايلك فنزل فى طريقه بمكان خال من البناء بناحية خانقاه سرياقوس، فنذر لله تعالى إن ظفر بعدوه وتحقق له النصر عليه ورجع سالما، سوف يقوم بتعمير هذا المكان سبيلا ومدرسة يُذكر فيها اسم الله تعالى ثم واصل السير إلى دمشق ومنها إلى آمد. ويُشير المؤرخ الإسحاقى فى معرض حديثه عن السلطان الأشرف أبوالنصر برسباي إلى نذره الذى تسبب فى بناء جامعه بخانقاه سرياقوس ويُوضح ذلك فى روايته قائلا:"حُكى عنه [١٠٧] أنه لما سافر سفرته المشهورة إلى آمد سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة [١٠٨] نزل بالخانقاه السرياقوسية بمكان خال من البناء، فنذر لله تعالى تَبرُر وقُربى إن أحياه الله تعالى وظَفَّره بعدوه ورجع سالما ليُعمّرن فى هذا المكان سبيلاً ومدرسة". [١٠٩]

تُشير رواية الإسحاقى إلى كون نذر السلطان برسباي هو الأساس والدافع الرئيس لبناء جامعه بخانقاه سرياقوس والذى يُعرف حاليا بجامع الخانكة، كما يُستنبط من هذه الرواية أيضا قلق برسباي الشديد وتخوفه من عدم تحقيق النصر وتهيبه من لقاء عدوه. ومن فضل الله ومِنته على السلطان برسباي أن كتب له النصر على عدوه، ومَكَّنه من فتح آمد، وظَفَّره الله تعالى بعدوه: فقتل ملكها واستأصل أمواله وأحضر خوذته، وقد تصادف ذلك الفراغ من بناء مدرسة برسباي بالأشرفية بشارع المعز لدين الله الفاطمى، فأمر برسباي أن تُعلَّق هذه الخوذة بسلسلة على باب هذه المدرسة حتى تكون مرئية للمارة والعامة، ومن ثمّ تكون بمثابة ذكرى وتخليد لهذا النصر، ومن حُسن

---

[١٠٣] قرايلك هو الأمير عثمان بن طر على التركمانى ويُعد قرايلك أحد أمراء التركمان الأكثر تناوشا مع السلطان برسباى. للاستزادة راجع: الصيرفى: نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان، ج٣، ص ١٦٣-٣٣٣

[١٠٤] آمِد هى أعظم مُدن ديار بكر وأجلها قدرا وأشهرها ذكرا، وهى بلد قديم حصين ركين. للاستزادة راجع: ياقوت الحموى (الإمام شهاب الدين أبى عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموى الرومى البغدادى) ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م: مُعجم البُلدان، ٥ أجزاء (بيروت: دار صادر، ١٩٧٧) ج١، ص ٥٦-٥٧

[١٠٥] محمد عبدالستار عثمان: الآثار المعمارية للسلطان الأشرف برسباى بمدينة القاهرة، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة القاهرة: كلية الآثار، ١٩٧٧) ص ٢٠٥. للاستزادة عن تجاريد السلطان برسباى راجع: عبدالرازق الطنطاوى القرموط: التركمان ومصر فى عصر برسباى (٨٢٥- ٨٤١هـ/ ١٤٢٢-١٤٣٨م) ، مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، جامعة الأزهر، العدد٢٣، (٢٠٠٤) ص ص. ١٢٨-٢٠٩ (ص١٣٤-١٤٤)

[١٠٦] محمد عبدالستار عثمان: الآثار المعمارية للسلطان الأشرف برسباى بمدينة القاهرة، ص ٢٠٦؛ عبدالرازق الطنطاوى القرموط: التركمان ومصر فى عصر برسباى (ص ١٤١-١٤٢)

[١٠٧] يقصد السلطان برسباى

[١٠٨] لم يُجانب المؤرخ الإسحاقى الصواب فى تحديد تاريخ خروج السلطان برسباى إلى آمد، والتاريخ الصواب والحقيقى لخروج برسباى إلى آمد كان فى شهر رجب سنة ٨٣٦هـ/ مارس ١٤٣٣م. للاستزادة راجع: المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٤، ق٢، ص ٨٨٩؛ عبدالرازق الطنطاوى القرموط: التركمان ومصر فى عصر برسباى (ص ١٤٥)

[١٠٩] الإسحاقى: أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول، ص ١٢٢

الطالع أن ظلت هذه الخوذة باقية حتى القرن الحادى عشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) فتناقل خبرها مؤرخو العصر والرحالة الذين زاروا مصر. [١١٠]

وبمجرد أن رجع برسباي مُنتصرا من آمد عام ٨٣٧هـ/ ١٤٣٤م ومَرَّ بالموضع الذى قد نزل به عند ذهابه إلى آمد، تذكّرَ نذره القديم وعمل على الوفاء به: فأمر بأن يُشيَّد بهذا المكان الخالى من البناء جامعا كبيرا، وألحق به سبيلاً وحوضاً لسقى الدواب ومنفعة العامة والناس، وأنشأ بجواره مقعدا له، كما عَمَّر أيضا ميضأة وفسقية، هذا بالإضافة إلى الساقية لتزويد الميضأة والفسقية وحوض الدواب بالماء، كما أنشأ بجوار الجامع من الناحية الجنوبية بُستانا. [١١١] هذا وقد جَلَبَ السلطان برسباي باباً مُصفحاً بالنحاس من بلاد الشام بعد عودته من حصار آمد لكى يكون الباب الرئيس بالجامع، [١١٢] وقد صُمِمَت فتحة باب الجامع على مقاسه؛ حتى يُذكِّر الناس بحملته السنية المنتصرة على آمد. ويُعد هذا الباب من الأدلة المادية التى تؤكد أن بناء الجامع كان بسبب نذر برسباي عند خروجه لآمد، وأن البدء فى إنشائه كان بعد عودة السلطان سنة ٨٣٧هـ/ ١٤٣٤م،[١١٣] واستمرت أعمال التشييد والبناء قُرابة أربعة سنوات [١١٤] حتى تم الفراغ من عمارة الجامع نهائيا إبان شهر ربيع الآخر سنة ٨٤١هـ/ أكتوبر ١٤٣٧م. [١١٥]

وقد وُصِف هذا الجامع بأنه جامع عظيم له قدر بين الجوامع جسيم، وقِيل أن بمحرابه تسع شعرات من شعر النبى صلى الله عليه وسلم. [١١٦] ويشغل الجامع مساحة من الأرض تبلغ حوالى ١٣٤٤ متر مُربع، بالإضافة إلى مساحة كتلة المدخل وملحقاتها، وكذلك الميضأة والفسقية التى التى تشغل هى الأخرى مساحة تُعادل مساحة الجامع تقريباً. [١١٧] ويتكون الجامع من صحن مُربع تُحيط به أربعة أروقة يتوسطها صحن مكشوف فُرِشت أرضيته بالرخام المُلون، وأكبر هذه الأروقة هو الرواق الجنوب الشرقى الذى يتألف من ثلاث بوائك موازية لجدار القبلة: بكل بائكة ستة أعمدة رخامية تحمل عقودا حجرية فُتحت فى خواصرها فتحات للتهوية وتخفيف الأحمال. وبمؤخرة هذا الرواق دكة المبلغ محمولة على ستة أعمدة رخامية، كما يتوسط صدر هذا الرواق محراب تجويفه وطاقيته من الرخام الدقيق: قيل أنه كان به تسع شعرات من شعر النبى صلى الله عليه وسلم. بينما يتألف الرواق الجنوبى الغربى من بائكة واحدة مُكونة من سبعة عقود ترتكز على أربعة أعمدة رخامية ودعامتين من دعائم الصحن، والرواقين: الشمالى الشرقى والجنوبى الغربى يتألف كل منهما من بائكتين، تتكون كل بائكة من ثلاثة عقود ترتكز على ثلاثة أعمدة رخامية. (شكل رقم: ٣)

---

(١١٠) الإسحاقى: أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول، ص ١٢٢؛ حسن عبدالوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، ج١، ص ٢٢٩

(١١١) محمد عبدالستار عثمان: الآثار المعمارية للسلطان الأشرف برسباى بمدينة القاهرة، ص ٢١٠

(١١٢) هذا الباب محفوظ حاليا بمتحف الفن الإسلامى ونقل إليه بمعرفة لجنة حفظ الآثار العربية بعد أن صُمِمَ للجامع بابا بنفس طراز باب المدرسة الأشرفية بشارع المعز، وهو مُسجل برقم ٢٣٨٩.

(١١٣) محمد عبدالستار عثمان: الآثار المعمارية للسلطان الأشرف برسباى بمدينة القاهرة، ص ٢٠٧

(١١٤) ربما ترجع هذه المدة الطويلة فى البناء إلى الوضع الاقتصادى التى مرت به البلاد نتيجة التكاليف الباهظة التى تكلفتها حرب آمد ومدى تأثير ذلك على انجاز البناء بالسرعة المطلوبة.

(١١٥) الصيرفى: نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان، ج٣، ص ٣٩٥

(١١٦) الإسحاقى: أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول، ص ١٢٢؛ النابلسى (عبدالغنى بن إسماعيل النابلسى) ت ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م: الحقيقة والمجاز فى الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم وإعداد: أحمد عبدالمجيد هريدى (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦) ص ١٨٠

(١١٧) محمد عبدالستار عثمان: الآثار المعمارية للسلطان الأشرف برسباى بمدينة القاهرة، ص ٢١٦

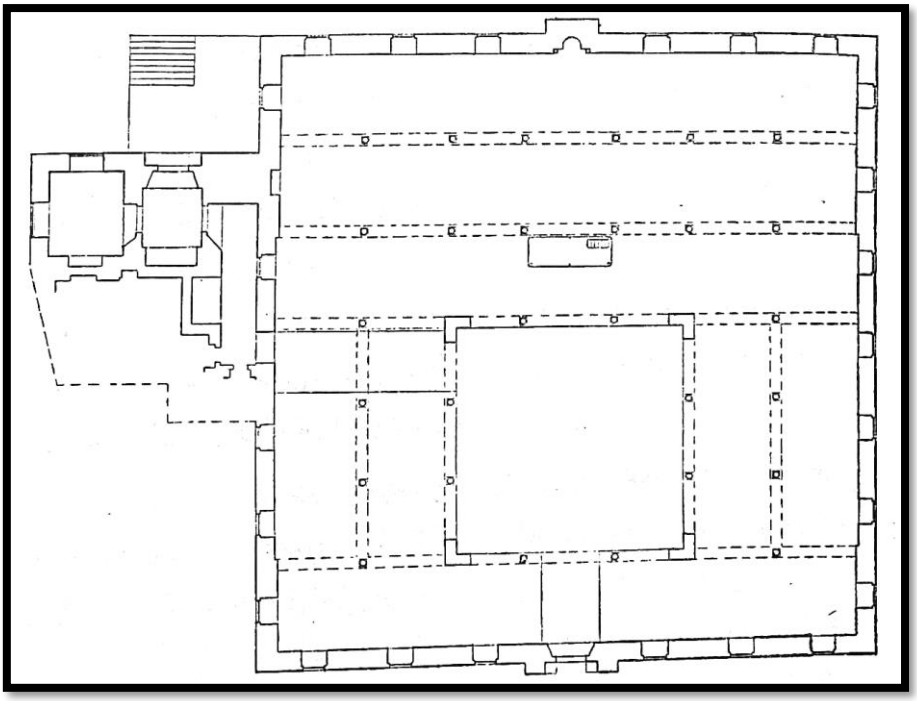

(شكل رقم: ٣) مسقط أفقى يُوضح تخطيط جامع السلطان برسباي

نقلا عن: مركز تسجيل الآثار الإسلامية

الخاتمة والنتائج

ناقشت الدراسة أثر النذر الإيجابى على العمارة الإسلامية إبان العصر المملوكى وبرهنت على كون النذر هو الأساس فى إنشاء بعض العمائر المدنية والدينية. ولعل أول هذه المنشآت هو سوق العنبريين الذى شيده السلطان قلاوون بدافع الوفاء بنذرٍ قد قطعه على نفسه. كما أُنشئ بيمارستان قلاوون بشارع المعز لدين الله الفاطمى بسبب نذر قلاوون الذى تعهد به على نفسه حينما كان أميراً فى دولة السلطان الظاهر بيبرس البُندقدارى.

وقد أثبتت الدراسة أن تجديدات السلطان لاجين بالجامع الطولونى جاءت وفاءً لنذر لاجين وتَمثَّلت هذه التجديدات فى الوحدات التالية: جوسق المئذنة ، والفوارة بوسط صحن الجامع، ومنبر الجامع، ومحراب الجامع الرئيس والمحاريب الجصية الأخرى، فضلا عن الحجرة الكائنة خلف محراب الجامع الرئيس وما بها من بقايا السقف الخشبى وبخاصة الطنف.

وكشفت الدرسة أيضا عن السبب والدافع الرئيس لإنشاء خانقاه سرياقوس وزيادة الامتداد العمرانى حولها إلى نذر الناصر محمد بن قلاوون: حتى أصبحت مدينة على انفرادها تُكنى بخانقاه سرياقوس، وأضحت منطقة جاذبة للسكنى وآهلة بحركة التعمير والإنشاء. هذا وقد تسبب نذر السلطان المؤيد شيخ فى تشييد مدرسته وجامعه الكائن بجوار باب زويلة وهدم خزانة الشمائل وما حولها.

وقد أشارت الدراسة أيضا إلى التأثير الإيجابى للنذر من حيث بناء السلطان برسباي جامعه بخانقاه سرياقوس وفاءً لنذرٍ قد تعهد به على نفسه أثناء خروجة لحرب آمد ومروره بخانقاه سرياقوس، فجاء من أعظم الجوامع وأبهجها آنذاك.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر العربية:

– ابن عبدالظاهر (محى الدين أبو الفضل عبدالله بن عبدالظاهر المصرى) ت ٦٩٢هـ / ١٢٩٣م: الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، الطبعة الأولى (القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب، ١٩٩٦)

– ابن عبدالظاهر (محى الدين أبو الفضل عبدالله بن عبدالظاهر المصرى) ت ٦٩٢هـ / ١٢٩٣م: تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور، تحقيق: مراد كامل (الجمهورية العربية المتحدة: الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٦١)

– ابن منظور الأفريقى المصرى (الإمام العلامة أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقى المصرى) ت ٧١١هـ/ ١٣١١م: لِسانُ العرب، ٦ مُجلدات، تحقيق: عبدالله على الكبير وآخرون (القاهرة: دار المعارف، د. ت)

– ابن بطوطة (أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم اللواتى الطنجى) ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م: كتاب رحلة ابن بطوطة المسماة بتحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، جزأن، الطبعة الأولى (القاهرة:المطبعة الخيرية، ١٩٠٤)

– ابن حبيب (الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب) ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م: تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه، ٣ أجزاء، تحقيق: محمد محمد أمين (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦)

– ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى) ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهر، ١٦ جزء، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الطبعة الأولى (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢)

– ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى) ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م: مَوردُ اللطافة فى من وَلِيَ السلطنة والخِلافة، جزأن، تحقيق: نبيل محمد عبدالعزيز (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية ، ١٩٩٧)

– ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى) ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م: المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى، ١٢ جزء ، تحقيق: نبيل محمد عبدالعزيز ومحمد محمد أمين (القاهرة: مركز تحقيق: التراث، ١٩٨٤– ٢٠٠٦)

– ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى) ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م: الدليل الشافى على المنهل الصافى، جزأن، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، الطبعة الثانية (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٩٩٨)

– ابن الفرات (ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم بن الفرات) ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م: تاريخ ابن الفرات، المجلد الثامن، تحقيق: قسطنطين زريق ونجلاء عزالدين (بيروت: المطبعة الأمير كانية، ١٩٣٩)

– ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى) ت ٨٠٩هـ /١٤٠٦م: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، جزأن (بيروت: المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر، د.ت)

– ابن حجر العسقلانى (العلامة الحافظ أحمد بن على بن محمد المشهور بابن حجر العسقلانى) ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م: إنباءُ الغُمرْ بأبناءِ العُمرْ، تحقيق: حسن حبشى، ٤ أجزاء (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ٢٠١١)

– ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفى) ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م: بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، ٥ أجزاء، تحقيق: محمد مصطفى، الطبعة الأولى (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤)

– ابن أيبك الدوادار (أبى بكر بن عبدالله بن أيبك الدوادار) د. ت: كنز الدرر وجامع الغرر، ٩ أجزاء، تحقيق: بيرند راتكة وآخرون (القاهرة: المعهد الألمانى للآثار بالقاهرة، ١٩٨٢)

– السخاوى الحنفى (أبى الحسن نور الدين على بن أحمد بن عمر بن خلف بن محمود) ت ٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م: تُحفة الأحباب وبُغية الطُلاب فى الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات، تحقيق: محمود ربيع وحسن قاسم، الطبعة الأولى (القاهرة: مكتبة النشر والتأليف الأزهرية، ١٩٣٧)

– السخاوى (شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوى) ت ٩٠٢هـ/١٤٩٧م: الضَّوْءُ اللامع لأهل القرن التاسع، ١٢ جزء، الطبعة الأولى (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢)

– الصفدى (صلاح الدين خليل بن أيبك) ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م: أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: على أبوزيد وآخرون، ٥ أجزاء (دمشق: دار الفكر، ١٩٩٧)

– الصيرفى (الخطيب الجوهرى على بن داود) ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م: نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان، تحقيق: حسن حبشى، ٣ أجزاء (القاهرة: مطبعة دار الكتب، ١٩٧٠)

– الفيروزآبادى (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى) ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤م: القاموس المُحيط، تحقيق: أبوالوفا نصر الهُورينى (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٨)

– الإسحاقى المنوفى (محمد عبدالمعطى بن أبى الفتح بن أحمد بن عبدالمغنى بن على الإسحاقى المنوفى) ت ١٠٦٠هـ/ ١٦٥٠م: أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول (القاهرة: مكتبة ملتزمية، د.ت)

– السبتى (القاسم بن يوسف التجيبى السبتى) ت ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م: مستفاد الرحلة والإغتراب، تحقيق: عبدالحفيظ منصور (ليبيا: الدار العربية للكتاب، د.ت)

– الطباع الغزى (عثمان مصطفى الطباع الغزى) ت ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م: إتحاف الأعزة فى تاريخ غزة، تحقيق: عبداللطيف زكى أبوهاشم، ٤ أجزاء، الطبعة الأولى (غزة: مكتبة اليازخى،١٩٩٩)

– العينى (بدر الدين محمود العينى) ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م: عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان : عصر سلاطين المماليك، ٥ أجزاء ، تحقيق: محمد محمد أمين (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ٢٠١٠)

– العينى (بدر الدين محمود العينى) ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م: السيفُ المُهند فى سيرة الملكِ المُؤيَّد شيخ المحمودى، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، الطبعة الثانية (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ١٩٩٨)

– العسقلانى المصرى (شافع بن على الكاتب العسقلانى المصرى) ت ٧٣٠هـ/١٣٣٠م: كتاب الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمرى، الطبعة الأولى (بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٨)

– النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويرى) ت ٧٣٣هـ: نهاية الأرب فى فنون الأدب، ٣٣ جزء، تحقيق: إبراهيم شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤)

– المقريزى (تقى الدين أحمد بن على بن عبدالقادر المقريزى) ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢م : المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار، ٦ مجلدات ، تحقيق: أيمن فؤاد سيد (لندن: مؤسسة الفرقان،١٩٩٥–٢٠٠٣)

– المقريزى (تقى الدين أحمد بن على بن عبدالقادر المقريزى) ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢م : السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٢ جزء، تحقيق: محمد مصطفى زيادة وسعيد عبدالفتاح عاشور (القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، ١٩٩٧)

– المقريزى (تقى الدين أحمد بن على بن عبدالقادر المقريزى) ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢م : إغاثة الأُمة بِكشف الغُمة، تحقيق: كرم حلمى فرحات، الطبعة الأولى (القاهرة: دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٧)

– بيبرس المنصورى (ركن الدين بيبرس بن عبدالله المنصورى الناصرى الدوادارى الخطائى) ت ٧٢٥هـ/١٣٢٥م: زُبدة الفِكرة فى تاريخ الهجرة، تحقيق: دُونالد س. ريتشاردز، الطبعة الأولى (بيروت: الشركة المتحدة للتوزيع، ١٩٩٨)

– ياقوت الحموى (الإمام شهاب الدين أبى عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموى الرومى البغدادى) ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م: مُعجم البُلدان، ٥ أجزاء (بيروت: دار صادر، ١٩٧٧)

المراجع العربية:

– أحمد عيسى: تاريخ البيمارَسْتانات فى الإسلام (القاهرة: كلمات عربية للترجمة والنشر، ٢٠١٢)

– إبراهيم على طرخان: مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ١٣٨٢م – ١٥١٧م (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٠)

– الشيخ الأمين محمد عوض الله:أسواق القاهرة منذ العصر الفاطمى حتى نهاية عصر المماليك (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤)

– حسن عبدالوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، جزءان (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٤٥)

– حياة ناصر حجى: السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف فى عهده، الطبعة الأولى (الكويت: مكتبة الفلاح، ١٩٨٣)

– سعاد ماهر محمد: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ٥ أجزاء (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ٢٠١٢)

– شاهندة فهمى عبدالكريم: جوامع ومساجد أمراء السلطان الناصر محمد بن قلاوون، رسالة دكتوراة غير منشورة (جامعة القاهرة: كلية الآثار، ١٩٨٧)

– عاصم محمد رزق: معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، الطبعة الأولى، (القاهرة: مكتبة مدبولى، ٢٠٠٠)

– عبدالرازق الطنطاوى القرموط: التركمان ومصر فى عصر برسباي (٨٢٥– ٨٤١هـ/ ١٤٢٢–١٤٣٨م) ، مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، جامعة الأزهر، العدد٢٣، (٢٠٠٤) ص ص. ١٢٨–٢٠٩

– فريد شافعى: العمارة العربية فى مصر الإسلامية عصر الولاة (٣٥٨–٢١هـ/ ٦٣٩–٩٦٩م)، الجزء الأول، الطبعة الثالثة (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٨)

– فهمى عبدالعليم: جامع المؤيد شيخ، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية (القاهرة: مطابع هيئة الآثار المصرية، ١٩٩٤)

– قاسم عبده قاسم: الأسواق بمصر فى عصر سلاطين المماليك، مجلة كلية الأداب – جامعة القاهرة، مجلد ٣٦–٣٧، الجزء ١–٢ (١٩٧٥–١٩٧٤)

– قاسم عبده قاسم: أسواق مصر فى عصر سلاطين المماليك، الطبعة الأولى (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١١)

– مجمع اللغة العربية: المُعجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم (القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ٢٠٠٢)

– مجمع اللغة العربية: المُعجم الوسيط، الطبعة الرابعة (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤)

– محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر (٩٢٣-٦٤٨هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م): دراسة تاريخية وثائقية (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠١٤)

– محمد محمد أمين، ليلي على إبراهيم: المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م) (القاهرة: دار النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، ١٩٩٠)

محمد عبدالستار عثمان: الآثار المعمارية للسلطان الأشرف برسباي بمدينة القاهرة، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة القاهرة: كلية الآثار، ١٩٧٧)

– محمد قنديل البقلى: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣)

– محمد رمزى: القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م، ٥ أجزاء (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤)

– هالة نواف الرفاعى: السجون فى مصر فى العصر المملوكى (٦٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)، رسالة ماجستير غير منشورة (الجامعة الأردنية: كلية الدراسات العليا، ٢٠٠٨)

المراجع الأجنبية:

- Creswell, K. A. C: *The Muslim Architecture of Egypt*, 2 Vols (London: Oxford University Press, 1959)
- Doris Behrens Abouseif: *The Minarets of Cairo* (Cairo: American University in Cairo press, 2010)
- Ét. Combe, J. Sauvaget, and G. Wiet: *Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe*, vol. 18 (Cairo: The French Institute of Oriental Archeology, 1931-1991)
- Max Van Berchem: *Materiaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum, Première Partie Égytpe* (Paris: Libraire de la Société Asiatique de l.'École des Langues Orientales Vivantes, 1903)
- Tarek Swelim: Ibn Tulun: *His Lost City and Great Mosque* (Cairo: The American University in Cairo Press, 2015)
- Tarek Amin El-Akkad, The Aesthetics of Islamic Architecture and the Exuberance of Mamluk Design, a doctorate thesis (International University of Catalonia: Higher Technical School of Architecture, 2013)

Journal of Association of Arab Universities for Tourism and Hospitality (JAAUTH)
journal homepage: http://jaauth.journals.ekb.eg/

The Impact of Vow (*Naḏr*) on the Mamluk Architecture in Egypt

Ahmad Magdy Salem
Lecturer at Tourism Guidance Department, Faculty of Tourism and Hotels, Suez Canal University.
ahmad_salem@tourism.suez.edu.eg

ARTICLE INFO

Keywords:

Vow (*Naḏr*); Mamluk Architecture; Market of Ambergris; Bīmārīstān of Qalāwūn; khanqah.

(JAAUTH) Vol. 27, No. 2, (2024) pp.39-65.

Abstract

Mamluk architecture in Egypt is varied and widely multiple. Although variety of the motives for erecting mamluk architecture, the vow (*naḏr*) was not studied as a reason for constructing mamluk buildings. This research aims at studying the impact of vow on the mamluk architecture in Egypt whatever this architecture is religious or secular. It illustrates buildings constructed because of the vow. Additionally, this research points out to architectural units renovated in some Islamic structures as a fulfillment of vow. The study utilized an inductive methodology by examining historical accounts from the primary sources according to analytical approach. It also employed a descriptive approach to illustrate some remained mamluk structures, in addition to architectural units renovated because of the fulfillment of vow. The study concluded that vow is the main reason for constructing five mamluk structures, they are: Market of Ambergris (*Sūq al-ʻAnbarīyyn*), hospital of Qalāwūn (*Bīmārīstān*), Khanqah of al-Nāṣir Muhammad b. Qalāwūn at Siryāqūs, Mosque of al-Mūʾyyad Shaykh and mosque of sultan Barsabāy at al-Khanka. Additionally, Sultan Lājīn restored the mosque of Aḥmad b. Ṭūlūn to fulfill his vow as a form of obedience to Allah.